15em Année No. 722

Lundi — 5 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ٥ مايو سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

من مذكراتى اليوميـــــة

يوم الأحد ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٧ :

اختلف أطبائى الخمسة فى شرح ما بى ، ولكنهم اتفقوا على أن أذهب إلى حلوان فأنقع فى هدوئها ودفئها أعصابى وأوصابى.

فى صباح هذا اليوم العابس القَر انتقلت إلى هذه المدينة ونزلت فندقاً من فنادقها الكبرى ، ثم قطعت ما بينى وبين دنيا الناس فلا أشغل ذهنى بفكر ولا يدى بعمل — هذا الفندق الغريق فى الضوء والسكون أشبه الأشياء بالدير الجبلى فى روعته الأخاذة ووحشته القابضة؛ وهؤلاء النازلون به المستَشفون فيه أشبه الأحياء بالرهبان المنقطعين فى معيشتهم الرتيبة وعزلتهم الرهيبة. إنه كالدير فى غير بساطة ولا زهادة ؛ وإنهم كالرهبان فى غير ورع ولا عبادة. هم أزواج ومزاج من جاليات الأمم الذين انتجعوا مصر انتجاع البدو مساقط الغيث ، ففيهم اليونانى والطليانى واليهودى ، وفيهم كذلك خلق عجيب من جيراننا الأدنين يلبسون القبعة حتى لا يقال إنهم مصريون ، ويتكلمون الفرنسية حتى لا يتهموا بأنهم شرقيون . وأكثر هؤلاء الأخلاط كهول وكهلات يشكون ذات الصدر أو وهن الأعصاب أو وجع المفاصل أو داء الملوك ؛ فمنهاجهم اليومى أن يغدوا إلى العين الكبريتية فيستحموا ، أو إلى العين المعدنية فيشربوا ، فإذا متع الضحى رجعوا فرادى وثُناء حتى يتجمعوا حلقاً حول الموائد تحت مظلات الحديقة وفوق شرفات الفندق . فهنا جماعات العجائز السمان والعجاف جلسن يثرثرن وفى أيديهن إبرة الحياكة تدخل وتخرج ، وفى أفواههن آلة الغِيبة تتحرك وتهرُج ، فلا يزلن معظم النهار بين أيد تحوك ، وألسنة تلوك ، وأهدافهن أعراض أولئك الحسان القليلات اللائى جلسن متفرقات يهدهدن أجسامهن وأحلامهن على الكراسى الوثيرة الهزّازة.

وهناك جماعات الكهول الثقال والخفاف يتراطنون بفضول الكلام وغث الحديث ولؤم الوقيعة ، وكل منهم يتغفّل عجوزه المراقبة من بعيد ليخالس النظر إحدى أولئك الجميلات المنفردات فلا يرى منها بالاً يعى ولا طرْفاً يجيب !

كان مرضى يمنعنى القرار فى مكان واحد ، فكنت أسترق السمع حيناً إلى جماعة النساء ، فلا أجد حديثهن يخرج عن أن هذه الفتاة الداخلة عشيقة الغنى فلان تاجر القطن وقد أخفاها عن زوجه فى هذا الفندق ، وهو يزورها من الإسكندرية كل أسبوع فيقضى معها الليلة أو الليلتين ؛ وأن هذه المرأة الخارجة أرملة لعوب وصلت أسبابها بالمرابى الأرمل فلان ، فهو يلقاها كل عصر فى (دار الينبوع) أو فى (الحديقة الصينية)؛ وأن هذه المستلقية على الكرسى الطويل يهودية بذلت سرَّها لصديق زوجها فانتحر الزوج وأفلس الصديق ؛ وهى الآن فى حضن صاحب سينما ....

ثم أسترق السمع حيناً إلى جماعة الرجال فلا أجدهم يخوضون

(البقية على الصفحة التالية)

احمد حسن الزيات

إلا في الهُجر والنكر، ففلان أثرى بالسرقة، وفلان يتجر بالفحش، وفلان قضى بهذا الفندق شهرين ثم لم يعط الخدم يوم سافر إلا قرشاً صاغاً كان من نصيب الخادم الذي نقل له الحقائب. فإذا أفضى بهم الحديث إلى قضية المصريين والإنجليز مطوا الشفاه، وعوَّجوا الأفواه، وقاءوا على أنفسهم خلطاً أسود من الغمز بنا والطعن فينا، وأخونا الشرقي المقبّع الذي يناقلهم الحديث لم يرد أن يقول لهم وانفسه: «حسبكم! فإن لحم أشداقكم التي تلوونها بالبذاء، وشحم أعناقكم التي تثنونها بالكبرياء، هما من ضيافة هذه البلاد!» ولكن المجتمع الأجنبي هنا كأكثر المجتمعات الأجنبية في كل مكان: نسيج من عمل الشيطان، لحمته الجناية على الأخلاق، وسَداه الزراية على مصر.

أحمد حسن الزيات

الحكم العدل

للأستاذ محمود محمد شاكر

يسمع كل عربي ويقرأ أن بلاده في حاجة إلى «الدعاية» لها في بلاد الأجانب، وبخاصة في أمريكا التي صارت اليوم ملتقى الأمم التي يسمونها الأمم المتحدة. وصارت هذه الكلمة حلوة على ألسنة رجال الصحافة العربية وعلى ألسنة رجال السياسة العربية، فكلهم يقول لك أو يكتب لك إننا تعوزنا «الدعاية» لبلادنا في الخارج. ولا بأس في أن يستحلي رجال الصحافة ورجال السياسة كلمة يديرونها على ألسنتهم، ويجدون في طعمها وفي نبرتها وفي جرسها لذة تحملهم على ترديدها واللجاج بها، ولكن البأس كل البأس أن يفضي استحلاء هذه الكلمة إلى استحلاء صب الملامة والتأنيب على أنفسنا، ونحت أثلاتنا بالتعنيف على ما نرتكب من تقصير في حق أوطاننا. ولو كان ذلك التقصير حقاً محضاً لا يمتوره رأي ينقضه، لكان كثرة اللجاج فيه عملا لا خير فيه البتة. ومع ذلك فلنفرض أنه حق محض، فما وراء ذلك؟

نعم إنه لحسن أن نظهر الناس على وجه الحق في مطالبنا، وعلى بشاعة الظلم المضروب علينا؛ وحسن أن ندعو الناس إلى سماع حجتنا؛ وحسن أن نزيل من أوهام أولئك الخلق ما علق بعقولهم عنا؛ وحسن أن نبدي لهم حقيقة أنكروها أو أنكرتها علينا السياسات فصدقوا السياسات وكذبوا أعينهم وأسماعهم. كل ذلك حسن، ولكن ليس بالحسن أن نأخذ الأمور من أقفائها لا من وجوهها، وأن ندع الرأي البين إلى الرأي الخفي، وأن نغفل الحقيقة الواقعة ونبصر الرجاء الذي لا يدري المرء أيتحقق له أم لا يتحقق.

فمسألة «الدعاية» تكاد اليوم تكون منصبة كلها على الدعاية في «أمريكا»، إذ لا سبيل إلى الدعاية في روسيا بحال من الأحوال، وبريطانيا هي طرف النزاع في مسألة مصر والسودان ومسألة فلسطين وفي سائر المسائل الشائكة التي يعاني العرب منها ما يعانون؛ وكذلك شأن فرنسا في مسألة بلاد تونس ومراكش والجزائر، فلم يبق إلا أمريكا، وهي التي يدور حديث رجال الصحافة ورجال السياسة في وجوب الدعاية لقضايانا في أرجائها.

فلننظر إذن إلى جدوى هذه الدعاية علينا هناك، وفي إمكانها قبل جدواها، وفي حقيقتها قبل جدواها وإمكانها.

فأمريكا لم تزل تزعم منذ الحرب الماضية أنها نصير العدل والحق، وأنها عدو البغي والعدوان، وأنها صديق الأمم المستضعفة، وأنها تبغض أشد البغض كل الاستعمار، أي أنها الحكم العدل الذي لا يرى بغياً ولا عدواناً ولا مظلمة إلا نبض قلبه إشفاقاً، وتحركت دماؤه اشمئزازاً وأنفة، وأبى إلا أن يكون كما أراده الله أن يكون حكما عدلا لا يرده عن إقرار الحق والعدل جهد يبذله، ولا دم يريقه، ولا مال ينفقه في سبيل الحق والعدل والحرية.

وهي لا تزال تحقق ذلك — فيما ترى بكل ما آتاها الله من قوة وحيلة ومعرفة، فهي تتدسس إلى قلب روسيا لتكشف الغطاء عن هذا الوحش الباغي المستقر بين جنبيها، والذي يخشى أن يكون أشد بغياً وعدواناً من الفريق الأول الهالك «ألمانيا»، وهي تتسلل إلى خفايا السياسات في أرجاء أوربة لتظهر العالم على أساليب روسيا في العمل لإدخال كل أوربة في حوزتها وتحت سلطانها، وهي ترسل جيوشاً لا تحصى من الخبراء والمخبرين ليستطلعوا طلع الحقائق التي تسترها روسيا في كل حنية من حنايا هذه الأرض، وهي تؤوي إليها كل شريد أو طريد ناله من عسف الروس وبطشهم وتفسح له صدرها، وتفسح له الصحف

أيضاً حتى يقول للناس ماذا تحاول روسيا أن تخبأ عن الناس ، وكيف تفعل روسيا بالناس ، إلى آخر هذا كله .

بل أعظم من ذلك أنها لم تتردد لحظة واحدة فى أن تبذل كل البذل لتركيا واليونان حتى يتاح لهما أن يصدا عن نفسيهما بلاء الروس وبطشهم واضطهادهم ، وأن تكونا جبهة مزودة بالقوة التى تميئهما على الجرأة فلا يروعهما تهديد الروس ولا تخويفهم . ولم تتوان صحف أمريكا عامة عن أن تجعل مسألة تركيا ومسألة اليونان من أعظم المسائل التى تشغل الرأى العام حتى يتهيأ للكونجرس أن يؤازر حكومته فى سياستها التى أرادتها لدرء خطر الروس عن هذين البلدين .

كان هذا كله ليس يشك فيه أحد ، ورأت أمريكا أنها إنما تؤدى بذلك حق الإنسانية عليها ، وتؤدى حق المكانة التى تبوأتها عند الناس ، وتؤدى مايجب على الحكم العدل الذى لا يبغى إلا إقرار الحق والعدل ، وإزهاق الظلم والجور .

ولكن ما الذى فعله هذا الحكم العدل فى شأننا نحن العرب ؟

كان أول مافعله أنه طلب باسم الحق والعدل أن تبيح فلسطين أرضها لصعاليك الأمم فتؤويهم وتمهد لهم أن يقيموا فى قلب بلاد العرب دولة يهودية تفعل بهذه العرب ما تشاء ، وسكتت باسم الحق والعدل عن المحرضين من يهود بلادها على انتزاع الأرض عامرها وخرابها من يد العرب لتكون فى يد صعاليك اليهود ، وغفلت باسم الحق والعدل عن شعب يسكن هذه الأرض منذ آلاف السنين تريد اليهودية أن تفقره وتذله وتنتزع منه أرض آبائه وأجداده بالجور والعدوان والنذالة الحديثة التى تسمى قوة المال . ثم أرسل الحكم العدل رسلا من عنده ليدرسوا القضية مع طائفة أخرى من البريطانيين ، فخرجت رسل الحكم العدل وهى ترى أن العرب أمة متأخرة ، وأنه لابد لليهود من أن يستعمروا هذه الأرض ليرفعوا عن هذه الأمة المتأخرة أساطير الجهل وغشاوة البؤس — ولو أفضى ذلك إلى أن يخوضوا فى الباطل خوضاً حتى يبلغوا الحق !

ثم جاءت مسألة مصر والسودان ، فإذا نحن نموج ونضطرب ونفزع من هول الغدر البريطانى وهذه المظالم الاستعمارية ، وإذا الحكم العدل يصم آذانه ويستغشى ثيابه باسم الحق والعدل حتى لا تروعه صرخات المظلومين والبائسين ، وإذا صحافته تضن بكلمة واحدة أن تقولها فى إنصاف هذا الشعب من الظالمين والباغين عليه ، بل لعل أكثرها ذهب إلى خلاف هذا وألح فيه .

وليس يقول أحد وهو يجد إن هذا الحكم العدل يجهل قضية فلسطين ؛ ولو هو كان يجهلها حقاً لكان أول ما تفرضه عليه هذه الحكومة التى تبوأتها فى العالم أن يرسل إلى فلسطين رجالا من أهل سياسته ، ورجالا من أهل صحافته ليدرسوا وينبشوا وينقبوا ويكشفوا خفايا الدسائس اليهودية والبريطانية كما يفعلون فى روسيا وفى أوربة وفى سواهما من بلاد الله . وليس يقول أحد وهو يجد إن هذا الحكم العدل يجهل قضية مصر والسودان ، فلو كان حقاً يجهلها لفعل مثل ذلك حتى يتاح له أن يقف على أسرار هذه القضايا ليحكم بين الناس بالعدل والقسطاس ما دام مصراً على أنه حكم عدل لا يبغى من وراء عدله إلا إقرار الحق وإزهاق الباطل . ولو فعل لرأينا الصحف فى بلاده تملأ الدنيا ضجيجاً وضجيجاً وبحثاً وتنقيباً وكشفاً عن خفايا السياسات كما تفعل فى مسائل روسيا وأوربة .

لا ، بل أكثر من ذلك أن لهذا الحكم العدل رجالا طالت إقامتهم فى مصر والسودان ، وفى فلسطين والشام ، منهم رجال الصحافة ومنهم رجال الجامعتين الأمريكيتين ورجال المدارس الأمريكية ، ومنهم رجال الشركات ومنهم غير هؤلاء ممن يذكرون بأسمائهم ومن لا يذكرون . فماذا يفعل هؤلاء جميعاً ؟ أى معروف يسدونه إلى البلاد التى طالت إقامتهم بين أهلها فعرفوهم وخبروهم ؟ أليس فيهم إنسان واحد فيه قدرة على أن يعرف خفايا الدسائس اليهودية والبريطانية فى بلاد مصر وبلاد الشام وفلسطين ؟ أليس لأحد منهم لسان ينطق بالحق دفاعاً عن أمم يكتم الاستعمار حتها ويبطش بها بطشاً وحشياً لا رحمة فيه ؟ كلا بل فيه ، ولكنهم حرب علينا ولا يريدون أن يقولوا لبلادهم ، وكأن بلادهم لا تريدهم أن يقولوا — وإلا ففيم صمتهم ، وفيم ممالأتهم لبريطانيا ويهودها وأفاقيها جميعاً من حثالات الأمم ؟ أم ترانا لا نستحق عدل الحكم العدل؟ أم نحن لسنا بأهل لأن تقال فى حقوقنا كلمة تجعل الحكم العدل

يتنبه إلى أن فى الدنيا شعباً تبلغ عدته أكثر من مائة مليون وعشرين مليوناً من الأنفس البشرية قد ضربه الاستعمار اليهودى والبريطانى والفرنسى ضربات مبيرة مبيدة بغير شرف ولا ورع ولا إنسانية .

أيقال إن رجال الجامعات والمدارس ، وهم أهل العلم والثقافة والأدب ، ليسوا سوى جماعة يعيشون فى سراديب العلم والفلسفة لا يعرفون ما يجرى على أديم هـذه الأرض ؟ وأنهم لا يخالطون أحداً ولا يخالطهم أحد ؟ وأنهم رجال مقنعون بالأثواب الجامعية من فرع الرأس إلى إخمص القدم ، فهم عمى لا يبصرون إلا نور العلم ، وصم لا يسمعون إلا نداء الحقائق الخالدة فى الفلسفة ؟

كلا كلا ! إنهم يسمعون ويبصرون ولـكنهم لا يريدون أن يبينوا عما يسمعون وعما يبصرون ، فإذا أبانوا فلن يبينوا عن الحق ، بل يبينون عن خلافه مما سمعوه من أعوان بريطانيا وأشياع يهود ، ويطمئنون فينا كل طعن ، ولا يرون بأساً من تعظيم أخطائنا وإخفاء صوابنا أو حقنا . بل يمنون علينا أن فعلوا لنا وفعلوا وهم يعلمون علم اليقين أننا لو قد كنا أحراراً فى بلادنا افعلنا لأنفسنا ما لا يستطيعون هم ولا سواهم أن يفعلوه لنا .

ثم فليخبرونا : أنحن الذين يجب علينا أن نتولى الدعاية لبلادنا فى بلادهم ؟ أيجب علينا أن نذهب إلى الحكم العدل الذى يرسل إلى بلاد الله سوانا من يعرف خبايا أسرارها ، فنقول له بألسنتنا إن حجتنا كذا وكذا ، وفضائلنا كذا وكذا ، ونعدد له مناقبنا ووجوه حقنا ومظالم عدونا ، فإذا به يسمع لنا ويقتنع بما نقول نحن ، وينسى كل ما تقول بريطانيا واليهود ، وإذا الرأى العام الأمريكى قد أصبح معنا ! !

كلا ليس بهـذا بمنطق ولا حق ، بل الحق هو أن الحكم العدل هو الذى يجب عليه أن يتتبع حقائق القضايا ويرسل رجاله ورجال صحافته ليعرفوا ويسألوا ، ويجب عليه أن يطالب المقيمين من أهله فى بلادنا أن يقولوا الحق غير متجانفين ولا باغين ولا تابعين للأهواء والعصبيات ، وأن يتولى هو وصحافته بيان الحق فى ذلك كله حتى يستطيع أن يحكم بالعدل ، وإلا كان حكما لا يصلح للحكم .

أما دعاتنا الذين يحرضوننا على « الدعاية » لأنفسنا فى بلاد الحكم العدل ، فليعرفوا أن الصحافة هنا لن تقبل منا أن ننشر ما نشاء إلا أن ندفع عليه مالا كثيراً ، وهم ينشرون لنا على أنه « إعلان » لا أكثر ولا أقل ، وأن القارىء سوف يقرؤه على أنه إعلان لا أكثر ولا أقل . فإذا كان لنا أن نرجو خيراً من الحكم العدل ، فهو يوم يلين قلبه ويرق ويشمر أننا أهل لأن ترفع عنا المظالم ، ويومئذ يرسل إلينا من يسألنا ويستخبرنا ويعود لقومه قضاة الحق أن أنصفوا مظلوماً طال ظلمه ، وأما قبل ذلك فلا . وإن كان هذا لا يمنع أن نبذل من الجهد ما نرجو أن يوقظ الحكم العدل من سباته الذى طال كما طال ظلمنا . وقبل ذلك فلنحذر أن نلوم أنفسنا على تقصير لم يكن ، لأنه ليس تقصيراً بل هو معرفة للحقيقة الظاهرة وهى أن الحكم العدل لا يريد أن يكون معنا نحن العرب دون الناس جميعاً — حكما عدلا .

محمود محمد شاكر

من معجزات القـــرآن

تفسير الآيات الأولى من سورة الروم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

لابد لتفسير الآيات الكريمة التي افتتحت بها سورة الروم من مقدمة تاريخية تبين الحوادث التي أشارت إليها هذه الآيات .

— ١ —

كان غربيّ آسيا ، في جملته ، متنازعاً بين الدول الفارسية المختلفة التي قامت في إيران وبين الدول الأوربية التي مدّت سلطانها إلى آسيا . وقد استمر النزاع في هذه البقاع قروناً كثيرة أكثر من ألف عام .

فدولة الأكينيين ، الدولة الفارسية الأولى التي أقامها كورش في منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأزالها الإسكندر المقدوني حوالى سنة ٣٣٠ ق م ، هذه الدولة نازعت دول اليونان حقباً ، وحروب دارا وخلفائه في آسيا الصغرى وبلاد اليونان معروفة مشهورة .

والدولة الأشكانية التي نشأت في إيران بعد الإسكندر حاربت الرومان في هذه البقاع عصوراً طويلة .

والدولة الساسانية التي قامت في إيران سنة ٢٢٦ م وبقيت حتى أزالها الفتح الإسلامي نازعت الرومان ودولة الروم الشرقية التي تسمى الدولة البيزنطية ودام بينهما النزاع إلا فترات قصيرة حتى زالت الدولتان كلتاهما عن آسيا بالفتوح الإسلامية .

— ٢ —

والحادثات التي تشير إليها فاتحة سورة الروم هي خاتمة الجلاد الطويل والحروب المتمادية بين الدولتين .

وخلاصة هذه الحادثات على طولها واضطرابها فيما يأتي :

كسرى پرويز حفيد كسرى أنو شروان ، من أعظم ملوك الفرس وهو آخر ملوكهم العظام . ولى الملك سنة ٥٩٠ م بعد قتل أبيه هرمزد أثناء ثورة قائد فارسي عظيم اسمه بدام چوبين .

ولما تولى پرويز العرش حاول إصلاح هذا القائد فاستعصى عليه وحاربه حتى اضطره إلى دخول مملكة الروم ، وقد استنجد الأمبراطور موريس فأمدّه بجند رده إلى عرشه فاستحكمت المودة بين الملكين . فلما قتل موريس سنة ٦٠٢ م شن كسرى الحرب على فوكاس خليفة موريس . وتوالت وقائع زلزلت دولة الروم الشرقية زلزالا شديداً .

توالت هزائم الروم في آسيا الصغرى والجزيرة وشمالى الشام حتى فزع الروم ، واستنانوا هرقل (هركليوس) ابن والى أفريقية فأقبل إلى القسطنطينية فاختير إمبراطوراً مكان فوكاس .

وحاول هرقل جهده أن يصد الفرس ، ولم يدخر وسعاً في حربهم فلم يستطع لهم رداً . وامتدت فتوح الفرس إلى الجنوب حتى استولوا على دمشق سنة ٦١٤ واتخذوها مركزاً سيروا منه الجيوش إلى أرجاء مختلفة حتى فتحوا بيت المقدس بجيوش جرارة فيها ستة وعشرون ألفاً من اليهود وبلغت كبرياء كسرى غايتها فأخذ الصليب الذي يزعم النصارى أن المسيح صلب عليه ، وكتب إلى هرقل كتاباً خلاصته :

« من كسرى پرويز رب الأرباب إلى عبده الحقير هرقل . تزعم أنك تعتمد على المسيح فلماذا لا يخلص المسيح بيت المقدس من يدى . ولماذا لم ينقذ نفسه من أيدى اليهود حينما صلبوه » .

ثم امتد الفتح إلى مصر فظفر بها الفرس بعد تسعة قرون من خروجهم منها أيام الإسكندر المقدوني .

وفي العام التالى صمم الفرس على فتح القسطنطينية ولم يكن بينهم وبينها إلا المضيق ، وحالفوا الأوار على أن يغزوها من تراقيا .

وزاد أمر الروم اضطراباً ، وبلغ يأسهم أن عزم هرقل على الفرار إلى قرطاجة لولا أن عرف الروم أمره فثار الناس واستحلفه البطريق في كنيسة آياصوفيا ألا يبرح المدينة على أية حال .

في أثناء هذه الهزائم المتوالية المتلاحقة التي توالت على الروم عشرين عاماً ، وحوالى سنة ٦١٥ حينما غلب الروم في أدنى الأرض

إلى بلاد العرب ، فى أرض الشام وهى الهزائم التى أهمت العرب نزلت الآية الكريمة :

الم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين الخ . وكان خبراً عجيباً ، أنكره مشركو العرب حتى راهنوا على كذبه .

روى الطبرى وغيره أن أبا بكر رضى الله عنه راهن أبىّ بن خلف على خمس إبل إلى خمس سنين فأمره الرسول صلوات الله عليه أن يزيد فى الرهان وبعد الأجل فراهنه على مائة ناقة إلى تسع سنين .

— ٣ —

فى سنة ٦٢٢ أعد هرقل العدد لحرب الفرس ، وتحمس النصارى لمجاهدة العدو الذى استولى على بيت المقدس وأخذ الصليب الحقيقى ... وحقر النصرانية وسفه عليها هذا السفه ، وبذل القساوسة الجهد حتى صهروا آنية الكنائس من الذهب والفضة يتخذونها عدة للحرب .

ولم يكن لهرقل بقية من أمل إلا فى أسطول بقى لهم ، فأبحر فى جيش والفرس مشرفون على الخليج ينظرون إليه حتى نزل فى أسوس على ساحل الأناضول .

وكان هذا أول انتصار للروم بعد موت موريس أى منذ عشرين عاماً .

ثم توالى النصر فى آسيا الصغرى وأرمينية إلى أن عبر هرقل الفرات شطر الغرب والجنوب سنة ٦٢٥ .

وحاول كسرى برويز أن يوقع بالروم فى حاضرة ملكهم ، فحالف الأوار وسير جيشاً لمحاربة هرقل وآخر لحصار القسطنطينية سنة ٦٢٦ مع الأوار . فلقى الجيشان كلاهما الخيبة والهزيمة .

وأغرى هرقل الظفر المتتابع فعزم على أن يغزو كسرى فى مدينته دستكبرد وهى على تسعين ميلا إلى الشمال من المدائن عاصمة الدولة . وكانت وقعة الزاب فى ١٢ ديسمبر سنة ٦٢٧ ثم فر كسرى ، وقابلته العاصمة بالثورة عليه وخلعه . ثم حبس فى بيت الظلام ولا زاد إلا الخبز والماء . وبالغ ساجنوه فى إهانته . وقتل كثير من أولاده أمامه ثم قتل هو قتلة فظيعة . وذلكم كسرى برويز الذى أرسل إليه رسول الله كتاباً فمزقه « فقال اللهم مزق ملكه كل ممزق » .

وخلفه على العرش ابنه شيرويه (قباذ الثانى) فصالح الروم على أن يرد إليهم كل ما فتح الفرس من البلاد التى فى سلطان الروم ، وعلى أن يرد الصليب . وقد سار هرقل بالصليب إلى بيت المقدس فوضعه مكانه فى شهر سبتمبر سنة ٦٢٩ . وكان يوماً عند النصارى مشهوداً ، وتمت الغلبة للروم .

كان انتصار الفرس فى الشام حوالى سنة ٦١٥ وبعد بضع سنين شرع الروم يهزمونهم سنة ٦٢٢ وتوالت عليهم الهزائم حتى قتل برويز وصالح ابنه مصالحة المغلوب على أمره .

وذلك تأويل الآية الكريمة : « وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » .

ونرجع إلى رهان أبى بكر وأبىّ بن خلف .

روى أن أبا بكر حين هاجر أخذ عليه كفيل وأنه حين انتصر الروم أخذ الرهن من أولاد أبىّ بن خلف .

وهنا نقول : لماذا اهتم العرب بحوادث الروم والفرس ولماذا أنزل فيها قرآن ؟ يقول المفسرون إن مشركى العرب فرحوا بانتصار الفرس وهم أصحاب أوثان كالعرب المشركين وبانهزام الروم وهم أهل كتاب كالمسلمين ، وقالوا للمسلمين سنغلبكم كما غلب الفرس الروم . فاهتم المسلمون وأخبروا رسول الله فنزلت الآية الخ .

ولا أحسب أن اهتمام العرب بالأمر كان لهذا بل أحسب ، والله أعلم ، أن العرب قلقوا لغلبة الفرس على الشام وهى منقلبهم للتجارة ، وقد ألفوا الروم فيها ، واتصلوا بهم بالتجارة وغيرها واتخذوا من عامتهم وخاصتهم أصدقاء وأعواناً ، وتجاراً يعاملونهم ويبايعونهم ، فكان الروم أقرب إلى عرب الحجاز ومن يتصل بهم من قبائل الشام وفلسطين ، وكان العرب بهم أعرف ، وبينهم وبين الروم من الأسباب ، ولهم فيهم من المنافع ما جعلهم يشفقون من غلبة الفرس على الشام ، وزوال سلطان الروم عنها ، ثم كان مع انهزام الروم انهزام حلفائهم وأنصارهم من عرب الشام ولهم بعرب الحجاز صلات .

(يتبع)

عبد الوهاب عزام

تعليق على كتاب :

إلى علماء الشـــيعة !

للأستـــاذ علي الطنطاوي

كان أهل القسطنطينية يتجادلون في مسائل تافهة لا تقدم ولا تؤخر والعدو على الأبواب فضرب بهم المثل حتى قيل لكل جدال سخيف في وقت عصيب : « جدال بيزنطي » . ونحن المسلمين اليوم ، يحيط بنا الأعداء من كل جانب ، وتنصب علينا المصائب من كل مكان ، ثم نختلف في أبي بكر وعلي أيهما كان أحق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي نتائج بنيناها على هذه المقدمة ، وفروع فرعناها عن هذا الأصل ، أطلنا الكلام فيها ، والجدال عليها ، حتى لم يبق فيها شيء يقال إلا قلناه ولا حجة إلا احتججنا بها ، وحتى صارت من الحديث المعاد ، والقول المملول ، وصرنا (معشر أهل السنة) نتمنى أن تطوى صحيفتها ، وينسخ حديثها ويتناسى حتى ينسى ، لذلك رحبنا في مصر بالعالم الإيراني محمد تقي قمي ، كما رحبنا من قبل في الشام ومصر بسلفيه أبي عبد الله وعبد الكريم الزنجانيين ، ومكناه من افتتاح (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) ، وسررنا حقيقة بتقرب إخواننا الشيعة منا ورجوعهم إلينا بعد إعراضهم عنا .

وجمهور أهل السنة لا يعلمون عن الشيعة إلا أنهم حزب سياسي ألف في وقت من الأوقات لتأييد أحد المرشحين للخلافة ، اعتقاداً منهم بفضله ، وإيماناً بصلاحه ، ويرون هذا شيئاً طبيعياً ومفهوماً ، لا يخلو من مثله بلد فيه انتخابات عامة ، والحكومة فيه برأي الأمة لا بنص سماوي ، ولا بحق إلهي ، فمن انتخبته الأمة ورضيت به فهو الحاكم الشرعي ... أما الشيء الذي لا يرونه طبيعياً ولا مفهوماً ، فهو أن يبقى في أمريكا مثلا حزب لا يزال يسب لنكولن ، ويعادي الأمة الأمريكية كلها لأنها انتخبته ، وقدمته على خصمه الذي يراه هذا الحزب أصلح منه ، ويستمر على ذلك إلى الآن ، وقد مات لنكولن ، ومات خصمه ، وولي بعده رؤساء كثيرون وماتوا . أو أن يبقى في المسلمين حزب يعادي الكثرة الكاثرة من سلف هذه الأمة وخلفها ، وينتقص جمهرة الأحياء والأموات منها ، لأن الخليفة الذي بايعته هذه الأمة سنة خمس وثلاثين للهجرة ، كان من حقه أن يبايع بها سنة عشر ، ويرى أن تأخير بيعته خمساً وعشرين سنة وتقديم ثلاثة رجال عليه ، أمر يستحق أن نتنازع (نحن) الآن عليه ، بعد ألف وثلاثمائة وخمسين سنة ، وبعد ما تبدلت الأرض ، وتغير وجه الدنيا ، مع أن هذا الخليفة نفسه قبل بتقديم الثلاثة عليه ، وبايعهم بالخلافة بيده ، وأعطاهم طاعته ، وأولاهم مودته ...

إن الأحزاب تتنازع وتختلف وقد يسب بعضها بعضاً ، ويبغي بعضها على بعض ، ويسلك كل منها إلى تقوية مرشحه أوعر الطرق ، فيمدحه بالباطل ، ويفتري على خصمه ، ويصمه بكل ما يشين ، ولكن تنقضي المركة الانتخابية ، ويعود السلام ، ويرجع الجميع إخواناً متصافين ، يجمعهم العمل للوطن ، والسعي لإعلاء شأنه ، فما بالنا نشتغل اليوم بمسألة انتهت من ... ثلاثة عشر قرناً ؟!

شيء عجيب جداً !

على أن أهل السنة لا يطيلون النزاع في (أفضلية) أبي بكر أو علي ، ولا يرون لذلك خطراً في الدين ، لأنه إن كان الفضل عند الله ، فالله أعلم به ، وهو لا يسأل عما يفعل ، ونحن لا دخل لنا في القضية ، وإن كان في الإدارة والسياسة ؛ فقد ولي الرجلان والحكم الآن للتاريخ وأهله . ولا طريق للاتفاق بيننا وبين الشيعة ، إلا :

١ — بأن ندع الكلام في تفضيل بعض الصحابة على بعض لأن ذلك ليس من أركان الإيمان ، ولا من أسس الدين ، وليس له في حياتنا نتيجة عملية .

٢ — وأن نجل الصحابة جميعاً ، ونكبرهم كلهم ، ولا نخوض فيما كان بينهم من حروب فتلك دماء طهر الله سيوفنا منها (كما قال الإمام مالك) فلنطهر ألسنتنا عن الخوض فيها .

٣ — وأن نرجع جميعاً إلى أصول الدين : إلى الكتاب

معتمدين فى تفسيره على المأثور كالذى نقله الطبرى فى تفسيره أولا ثم على المعقول الموافق للعربية ولأسباب النزول وإلى السنة الصحيحة وما بنى عليها من فقه ، وفروع من فروع ، وأن نترك كتب الخلاف التى تورث الأحقاد ، وتثير السخائم .

هذا هو الطريق الذى نراه ، ولعل (دار التقريب) ترى طريقاً أقصر منه ، وأسلم ، فنسلكه معها إلى هذه الغاية التى صار السعى إليها اليوم واجباً ، وأن يتعاون الشيعة والسنة على منع كل ما يصدع الشمل ، ويفرق الجمع ، ويلقى الخلف بين جماعة المسلمين كهذا الكتاب الذى كتبت هذه الكلمة تعليقاً عليه ...

وهو كتاب أهدى إلى الرسالة للاطلاع والنقد ، اسمه (تحت راية الحق فى الرد على الجزء الأول من فجر الإسلام) مكتوب على غلافه (لمؤلفه البحاثة المحقق الشيخ عبد الله السبيتى) مطبوع فى طهران طبعاً سقيما ، أسلوبه ضعيف كثير الأغلاط ، له مقدمة (بقلم صاحب السماحة العلامة الكبير حجة الإسلام الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمى) ولست أريد تتبع كل ما فيه ولكنى أمثل عليه بهذا الذى أنقله منه بحروفه ، ولم أتعمد اختيار أشده وإنما أخذت ما وقع تحت نظرى منه :

قال فى صفحة (١٥) : إن تاريخ سقيفة بنى ساعدة يلقى علينا درساً كاملا يوضح لنا به نفسية المهاجرين والأنصار وأنه لم تصف نفوسهم إلى حد وصل الدين (كذا) إلى أعماق قلوبهم . وقال فيها : والصحاح تحدثنا عن قول عمر [إن النبى يهجر] ذلك حينما قال النبى (ص) إيتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فكل ذلك يشرف بالباحث على القطع بأن الدين لم يصل إلى أعماق قلوبهم ، ولم يفهموا الإسلام كما يريد الإسلام . وقال (١٥٤) : وحسبه أن يرى كعب الأحبار اليهودى الدساس إلى جانب عثمان وهو مستشاره . وقال (٥٠) : معاوية رأس النفاق — معاوية المستهتر . وقال (٨٥) معاوية رأس القاسطين . وقال (٧٩) : ورب رجال أقعدهم بغض أمير المؤمنين عن القيام بواجب الشهادة فأصابتهم دعوته كأنس بن مالك . وقال (٩٨) : أبو هريرة يحدث بالترهات ، ويختلق الخرافات . وقال (١٣٠) : حديث المنافقين كابن هند (أى معاوية) وابن النابغة (أى عمرو بن العاص) وابن الحكم وابن شعبة وأمثالهم ولا بحديث الكذابين الدجالين المخرفين كأبى هريرة ... وقال (٤٠) : الشيخان (أى البخارى ومسلم) عنيا بأمور لا وزن لها ولا قيمة — ولسنا نعلم لو كان النجاح فى هذه الحرب (الخندق) لغير على أكان يهمله الشيخان فاتضح لك أن تلك الأقلام (الكلام كله على البخارى ومسلم) التى تسود تلك الصفحات كانت تمشى وراء الميول والأهواء والتبصبص (كذا) حول التيجان . وقال (٩٣) : على أن مسلماً فى صحيحه زاد فى اختصارها (خطبة للنبى صلى الله عليه وسلم) جرياً على مقتضيات السياسة التى تخرس الناطق وتصم السميع لحذف شطرها المختص بعلى عليه السلام كما لا يخفى ، ومما يدلك على أن السياسة لا دين لها ، وأنها تعمى البصر والبصيرة . وقال (٩٦): كرر البخارى هذه السخافة فى مواضع عديدة من كتابه . وقال فيها : وقد أخرج البخارى من الغرائب والعجائب والمناكير ما يليق بعقول مخرفى البربر ، وعجائز السودان . وقال (١٠٠) : نراه (أى البخارى) يخرج من الأحاديث الموضوعة ما قد تقرب الواضع به إلى الظالمين الغاشمين تصحيحاً لما كانوا يرتكبونه من القتل والمثلة وسائر الأعمال البربرية . وقال (١٤٦) : إن الشيعة لا تعول على تلك الأسانيد (أى أسانيد أهل السنة) بل لا تعتبرها ولا تعرج فى مقام الاستدلال عليها فلا تبالى بها وافقت مذهبها أو خالفته . وقال فيها : إن لدى الشيعة أحاديث أخرجوها من طرقهم المعتبرة عندهم ، ودونوها فى كتب لهم مخصوصة وهى كافية وافية لفروع الدين وأصوله عليها مدار علمهم وعملهم وهى لا سواها الحجة عندهم ، فما أغناهم بها عن حديث غيرهم صح حديث الغير أم لم يصح . وقال (١٦٢) والتجسيم معروف عن الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه — ولقد رأينا من قبل أن ابن تيمية الخ ... وابن القيم رأيه ذلك أيضاً — : وقال (١٦٣) والتجسيم رأى محمد بن عبد الوهاب وعليه اليوم الوهابية جميعاً لا يتحاشون فى ذلك وقد نقله الشهرستانى عن أحمد بن حنبل وداود بن على الأصفهانى (أى الظاهرى) ومالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وجماعة من أئمة

أهل السنة . وقال (١٦١) : والأشاعرة جميعاً على هذا الرأى — أفليس هذا هو القول بالتجسيم ؟! وقال (٦٤) : ومتى كانت الشيعة تعتبر تفسير الطبرى وتعتمد عليه ؟! وقال (٨٦) : ومتى كان ابن خلدون وغيره من علماء السنة ، اللهم إلا القليل ، لا يحمل حقداً ولا يتحامل عند يقف مؤرخاً للشيعة ومتى كان المؤرخ منهم لا يرتكب زوراً وبهتاناً عند سنوح كل فرصة ؟! وقال فيها : الاعتماد على ابن خلدون مثل من يريد أن يبحث عن الشريعة الإسلامية وصحة نبوة النبى فيعتمد على كتب النصارى قبل سبعة قرون الخ الخ .

ومؤلف الكتاب (البحاثة المحقق) لا يسوق هذا على أنه رأى له ، بل على أنه معتقد الشيعة ، وأنه المعتمد عندهم ، وأنا أصدقه فى ذلك ما لم أر علماء الشيعة يكذبونه فيه ، وينكرونه عليه ، وأقول :

إذا كان إخواننا الشيعة يعتقدون أن المهاجرين والأنصار لم تصف نفوسهم لفهم الدين ، ولم يصل إلى أعماق قلوبهم ، ونحن نراهم أئمة الهدى ، وورثة الرسول ... وإذا كانوا يسبون أكثر الصحابة ونحن نجدهم خلاصة الإنسانية ولباب البشر ... وإذا كانوا لا يقبلون أسنادنا ولا يحتجون بحديثنا ، ونحن نبنى على هذه الأسناد ديننا ، ونقيم على هذه الأحاديث شرعنا .. وإذا كانوا يرون الصحيحين مملوءين بالموضوعات والخرافات ، لا يليقان إلا بمخرفى البربر وعجائز السودان ، ونحن نراهما أصح الكتب عندنا بعد كتاب ربنا ... ولا يعتبرون تفسير الطبرى وهو عمدة تفاسيرنا ... وكانوا يطعنون على أئمتنا ، ويصمونهم بالتجسيم وفساد المعتقد ... وإذا كان المؤلف قد صرح فى الصفحة (١٥) و (٦٤) و (١٣٢) أنه لم يقل كل ما عنده ، ولم يجهر بكل ما يعتقده (لئلا يقوده البحث إلى نتائج غير صالحة قد لا تلتئم مع العصر الذى يطلب فيه الوفاق) ، وإذا كان عنده ، أى عند الشيعة ، أكثر من هذا الذى قاله ... فكيف يا علماء الشيعة ، وكيف يا أعضاء دار التقريب ، وكيف يا محمد تقى قمى ، يكون الوفاق ، ويتم التقارب ؟

أو ليس من التناقض أن يأتى من إيران محمد تقى قمى ، ليعمل على التقريب بين المذاهب ، فينزل فى أفخم فندق فى القاهرة ويفتح داراً ينفق عليها وعلى موظفيها وزوارها أضخم النفقات ، فى الوقت الذى يطبع فيه فى طهران هذا الكتاب ؟ وهل وجدتم فى مصر أو الشام أو العراق كتاباً لسنى يسب فيه أهل البيت الأطهار ، أو يتعرض فيه لسيدنا على وذريته الطيبة ؟ فلماذا إذن افتتحتم دار التقريب فى مصر التى تحب عترة النبى صلى الله عليه وسلم وتتبرك بقبور الحسين وزينب ونفيسة ، ولم تفتحوها فى (طهران) حيث طبع هذا الكتاب الذى لم يترك مؤلفه أحداً من سلف هذه الأمة وخلفها حتى أصابه برشاش من أدبه السامى ؟

ألم يكفنا هذا الاختلاف أربعة عشر قرناً ؟ أما آن لنا أن نصطلح ونتفق ، ونجرد المسألة من ثوبها الدينى لتعود مسألة سياسية ، وقضية حزبية انتخابية ، لا أكثر ولا أقل ، ويرجع إخواننا الشيعة إلى حظيرة الجماعة ، فيترضوا عن الصحابة كلهم كما نترضى نحن عن آل البيت جميعاً ؟ ويجلوا أبا بكر وعمر كما نجل نحن علياً ؟

ماقول علماء الشيعة الأفاضل ؟ وماقول أعضاء (دار التقريب)؟

على الطنطاوى

(القاهرة)

٥ ـ تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها في ڤينا
للاستاذ محمد جمال الدين حسن

الرقابة في الأحلام :

استطعنا من خلال دراستنا لأحلام الأطفال أن نصل إلى معرفة شيء عن حقيقة الحلم وكيفية حدوثه وماهي خواصه الرئيسية ووظيفته . فرأينا أن الحلم يعمل كوسيلة لأزالة المؤثرات العقلية التي تقلق النوم . ونحن وإن كنا لم نتمكن بعد من الوصول إلى معرفة شيء عن أحلام البالغين ، اللهم إلا النوع الذي هو من نوع أحلام الطفولة ، إلا أن النتيجة التي وصلنا إليها ليست مما يستهان به ؛ فقد اتفق أننا في كل مرة نتوصل فيها إلى تفسير الحلم تفسيراً واضحاً نجد أنه عبارة عن إشباع لرغبة . وهذا الاتفاق لا يعقل أن يكون عرضياً أو عديم الأهمية . أما الأحلام التي من نوع آخر فقد فرضنا ، اعتماداً على الشبه الذي بينها وبين زلات اللسان ، أنها عبارة عن بديل محرف لمحتوى مجهول لدينا . الخطوة التالية إذن هي أن نجتهد في معرفة شيء عن ماهية هذا التحريف الذي ينشأ في الأحلام .

هذا التحريف هو الذي يخلع على الأحلام هالة من الغرابة تجعلها بعيدة عن مدارك الفهم . وهناك أشياء كثيرة نريد أن نعلمها عنه ؛ أولا : كيف ينشأ هذا التحريف ؛ وثانياً : ما هي وظيفته ، وثالثاً : كيف يؤدي هذه الوظيفة .

دعوني أرو لكم أولا حلماً قصته علينا سيدة معروفة في دوائر التحليل النفساني وهي الدكتورة فون هج ـ هلموت Frau Dr Von Hug - Hellmuth وهذا الحلم كما تقول الدكتورة رأته امرأة عجوز ولكنها متثقفة ثقافة عالية ولها مكانة محترمة بين الناس وهي لم تقم بتحليله لأنه على حد قولها لا يحتاج إلى أي تحليل بالنسبة إلى المحلل النفساني ، كما أن الحالة نفسها لم تقم بتفسيره ولكن طريقتها في نقده وذمه تدل على أنها قد فهمت مرماه ، فقد قالت : « تصوروا امرأة في الخمسين من عمرها لا هم لها بالليل والنهار إلا رعاية أولادها ، تحلم مثل هذا الحلم الفظيع الذي لا معنى له ! »

والآن دعوني أرو لكم هذا الحلم الذي يدور حول « الخدمة ـ الغرامية [1] في الحرب »

قال الراوية : رأت السيدة فيما يرى النائم أنها توجهت إلى المستشفى العسكري الأول وأبدت للحارس الذي يقف بالباب رغبتها في مقابلة كبير الأطباء (وقد أعطته اسما لا تعرفه) لأنها ترغب في عرض خدماتها على المستشفى . وقد ضغطت السيدة على كلمة « خدمات » بطريقة فهم منها الحارس أنها تقصد بها « الخدمة ـ الغرامية » ولما كانت المرأة متقدمة في السن فقد أفسح لها الحارس الطريق بعد قليل من التردد ، ولكنها بدلا من العثور على كبير الأطباء وجدت نفسها في حجرة مظلمة تحتوي على عدد من الضباط وأطباء الجيش جلس بعضهم حول مائدة طويلة بينما ظل البعض الآخر واقفاً . وقد توجهت المرأة إلى أحد الأطباء وأفضت إليه باقتراحها ، ففهم الطبيب تواً ما تقصد إليه . وقد كانت الكلمات التي استخدمتها في الحلم هي : « انني وكثيرات غيري من نساء وفتيات ڤينا لعلى استعداد في سبيل الجنود والضباط أو الرجال أن ... » وهنا انتهت الجملة بدمدمة غير واضحة . وقد ارتسمت على وجوه الموجودين علامات تجمع بين الخبث والارتباك رأت المرأة منها أنهم فهموا ما ترمي إليه فتابعت حديثها قائلة : « إني أعلم أن هذا التصميم من جانبنا يبدو لكم شاذا غريبا ولكني جادة كل الجد فيما أقول ، فالجندي لا يسأل في المعركة إن كان يرغب في الموت أو الحياة . ثم أعقب ذلك فترة رهيبة من السكون المطبق قطعه أحد الأطباء بقوله لها ، وقد تأبط خصرها بذراعه . « لنفرض يا سيدتي أننا حقاً قبلنا أن ... (دمدمة) » وهنا تخلصت المرأة من ذراعه وهي تتمتم « إنهم كلهم سواء » ثم أجابت : « يا للعجب ! انني امرأة عجوز وقد لا يحدث لي هذا أبداً ؛ على أن هناك شرطاً يجب أن يراعى وهو

[1] بالألمانية Liebesdienst وهو اصطلاح معروف في ألمانيا مأخوذ عن قولهم « الخدمة العسكرية »

مسألة السن ، بحيث لا يسمح لامرأة عجوز وشاب يافع أن ... (دمدمة) إن هذا يصبح فى غاية الفظاعة . » فهز الطبيب رأسه قائلا : « انى فاهم تماما ما تقصدين . » غير أن بعض الضباط ضجوا بالضحك فطلبت السيدة أن تؤخذ فوراً إلى كبير الأطباء الذى تعرفه حق المعرفة ، حتى يوضع كل شيء فى نصابه . ولكن الدهشة عقدت لسانها عندما اكتشفت أنها لا تعرف اسمه . غير أن الطبيب مع ذلك أرشدها إلى الطريق الذى يؤدى إلى الطابق العلوى فى أدب جم واحترام متناه . وبينا هى تصعد درجات السلم إذ وصل إلى سمعها صوت أحد الضباط يقول : هذا تصميم عظيم بلا شك . وسواء أكانت عجوزا شمطاء أم صبية حسناء فلها الشرف المظم على أية حال » . وهنا ملأها شعور بأنها لا تقوم إلا بتأدية أبسط ما يتطلبه منها الواجب ، فأخذت تصعد درجا لا نهاية له .

وقد تكرر هذا الحلم مرتين فى خلال بضعة أسابيع مع تغييرات طفيفة هنا وهناك قالت عنها الحالة إنها عديمة الأهمية ولا معنى لها إطلاقا :

وهذا الحلم يشبه فى تسلسله أحلام اليقظة ، غير أن هناك مقاطعة فى بعض المواضع . كما أن هناك كثيراً من النقط الغامضة كان من الممكن توضيحها إذا استفهمنا من الحالة عنها ، ولكن هذه الخطوة لم تتخذ كما تعلمون . وإنما الغريب الذى يلفت النظر فى هذا الحلم هو وقوع كثير من الفجوات لا فى السرد بل فى المحتوى نفسه : فهناك آثار المحو تبدو فى ثلاثة مواضع من المحتوى ، وحيثما توجد هذه الفجوات فالمحادثة تقاطع « بدمدمة » : وبما أننا لم نقم بتحليل هذا الحلم ، فليس لنا فى الحقيقة إذا توخينا الدقة أن نتكهن بشيء عن معناه . غير أن هناك تلميحات معينة مثل « الخدمة - الغرامية » يمكننا أن نستخلص منها بعض النتائج . كما أن الحديث الذى ينقطع قبل الدمدمة مباشرة لا يحتاج لإتمامه إلا إلى نوع واحد من التركيب . فإذا قمنا بإتمام هذه الأحاديث فاننا نحصل على رؤيا خيالية مؤداها أن الحالة ، تلبية لنداء الواجب ، مستعدة لأن تهب نفسها لأشباع الرغبات الجنسية للجند على اختلاف درجاتهم . وهذا شيء فظيع حقاً فهو نموذج للرؤيا الجنسية المكشوفة . ولكن الحلم لا يخبرنا بشيء من هذا ، فحيثما احتاج الأمر إلى هذا الاعتراف وجدنا فى المحتوى الظاهر دمدمة غير واضحة ، كأنما هناك شيء قد فقد أو قمع .

أظن من الواضح جداً أن السبب فى قمع هذه العبارات يرجع إلى طبيعتها البشعة . والآن أين نستطيع أن نجد شبيهاً لما يحدث هنا ؟ أظنكم فى غير حاجة إلى البحث بعيداً فى هذه الأيام [1] ، فأنتم إذا تصفحتم اليوم أى صحيفة سياسية وجدتم أن ههنا وهنا بعض الفقرات قد حذفت من الأصل وظل البياض الناصع للصحيفة يطالعكم بدلا منها . وهذا كما تعلمون من فعل الرقيب على الصحافة ، فحيثما وجدت هذه الفواصل البيضاء فمعنى ذلك أن شيئاً ما قد رفع من هذا الوضع لعدم موافقة الرقابة على نشره . وقد تأسفون على هذا العمل لأنه مما لا شك فيه أن هذا الوضع كان يحتوى على أهم ما فى الجريدة أو على «زبدة» الأخبار كما يقولون

ولكن فى أحيان أخرى قد يتنبه الكاتب مقدما إلى العبارات التى من المحتمل أن تتعرض لقلم الرقيب ، فيقطع عليه خط الرجعة بأن يحور فى العبارة تحويراً يجعلها لا غبار عليها ، أو قد يكتفى بأن يلمح من بعيد إلى ما يريد أن يكتبه فعلا . وفى هذه الحالات لا توجد مواضع بيضاء خالية من الكتابة وإنما فى امكاننا أن نستنتج من طريقة اللف والدوران التى يستخدمها الكاتب أو من تعبيراته الغامضة أنه كان يكتب وهو يخشى قلم الرقيب .

والآن نستطيع أن نقول بالمثل إن الأحاديث التى حذفت من الحلم والتى جاءت متنكرة على شكل دمدمة كانت هى الأخرى ضحية لنوع من الرقابة : ونحن فى الواقع نستخدم الاصطلاح « رقابة الأحلام » ونرجع جزءاً من التحريف إلى فعلها به فحيثما توجد فجوات فى المحتوى الظاهر فاننا نعرف على الفور أن الرقابة هى المسئولة عن ذلك . بل إننا نذهب إلى أكثر من هذا ؛ فان رأينا وسط العناصر الواضحة الجلية من الحلم عنصراً غامضاً غير واضح المعالم أو لم تستوعبه الذاكرة جيداً قلنا إن هذا دليل على عمل الرقابة . على أن الرقابة قلما تتخذ هذه الطريقة الواضحة المكشوفة كما هو الحال فى الحلم الذى يدور حول « الخدمة الغرامية » وإنما تستخدم فى أغلب الأحيان الطريقة الثانية التى ذكرتها لكم وهى التحوير فى العبارات أو الاكتفاء بالاشارة والتلميح بدلا من الافاضة والتصريح .

(يتبع) **محمد جمال الدين حسن**

(١) الحرب العظمى الأولى

إلى طلبة التوجيهية :

شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

تمهيد — موضوعات القصيدتين — الصور والخيال — الأسلوب — كلمة عامة ... ...

— ١ —

شاعران مصريان معاصران تغنيا بمصر وأخلصا لها الحب، فكان جزاؤهما النفى، أما أحدهما فمحمود سامى البارودى، وأما الآخر فأحمد شوقى.

نفى البارودى إلى جزيرة سرنديب فى أعقاب الثورة العرابية؟ لأنه أحد زعمائها وقادتها، ونفى شوقى إلى الأندلس فى أول الحرب العالمية الأولى؟ لأنه يناهض الاحتلال البغيض، ولأنه شاعر الخديو عباس وترجمانه، وهوى مولاه وهواه مع تركيا، وهى يومئذ فى صف ألمانيا ضد انجلترا، وقد حيل بين الخديو ومصر فليبعد شاعره شوقى من مصر.

قضى البارودى فى منفاه سبعة عشر عاماً يتسلى فيها بالشعر، وينفس به عن نفسه، وقضى شوقى فى منفاه خمسة أعوام يردد النظر فى شعر الأقدمين، ويصور ما يعتلج بنفسه من ألم وحنين.

وتجلت فى شعر كل منهما نزعته وطبيعته، فالبارودى يتحسر على أيامه السعيدة بمصر، ويكثر من ذكر الروضة والمقياس والحسان المائسات على الجسر، ويود أن تكتحل عيناه بمرأى مصر، ويفتخر بشجاعته فى الحرب، لأنه من رجال الجيش.

وشوقى يأسى على عهده النضير بمصر، ويتغنى بطبيعتها المزدانة الفتانة، ويتوق إلى الرجوع إليها، ويمجد ماضيها المظلم ويفخر بجلاله، ويتحدث بآثارها الخالدة، ولا ينسى مجد العرب والإسلام فى الشرق والغرب فينوه به، منساقا فى ذلك مع ثقافته التاريخية الواسعة.

وإذا كانت النعم أحياناً تجنى من لهب الشدائد فإن نفى الشاعرين بلية أجنت الأدب حلو الجنى، إذ أثرته بكثير من القصائد الجياد قد بعثها عاطفة جياشة بالألم والحرمان والشوق واللهفة إلى الوطن والخلان.

ونحن الآن نوازن بين القصيدتين المقررتين على طلاب التوجيهية فى هذا العام موازنة تكشف عن نواحى الاتفاق ومناحى الاختلاف.

— ٢ —

ليس فى القصيدتين وحدة، فكلتاهما ذات أغراض عدة، ولكنها مما يتداعى فى خاطر الشاعر إذ يذكر وطنه ويحن إليه.

فالبارودى بدأ قصيدته بالشكوى، الشكوى من الفراق المؤلم المسقم الذى لا يخففه عطف المواسيات، حتى ليحسبن أنه مجنون لا يفيق، لأنهن يجهلن داءه، وما داؤه إلا تباريح الحب المهلك، ثم يتألم لأنه يكلف بحب من لا يهتمون بأمره، وكرر الشكوى من الأرق والوحدة حيث لا يجد صاحباً يبثه همه. قال :

ترحل من وادى الأراكة بالوجد   فبات سقيما لا يعيد ولا يبدى
سقيما تظل العائدات حوانيا   عليه بإشفاق وإن كان لا يجدى
يخلن به مساً أصاب فؤاده   وليس به مس سوى حرق الوجد
به علة — إن لم تصبها سلامة   من الله — كادت نفس حاملها تردى
ومن عجب الأيام أنى مولع   بمن ليس يعنيه بكائى ولا سهدى
أبيت عليلا فى (سرنديب) ساهراً   أعالج ما ألقاه من لوعتى وحدى
أدور بعينى لا أرى وجه صاحب   يريع لصوتى، أو يرق لما أبدى

ولكن شوقى بدأ بدءاً آخر، فتخيل حماماً ينوح بوادى الطلح، وناجاه بأن بلواهما متشابهة، لأن اليد العاتية التى طيرت الحمام من واديه هى اليد الغاشمة التى حرمت الشاعر من وطنه وأهله، وكلاهما فى وادى الطلح غريب ضائق الصدر يحز الألم فى نفسه، ولا ينفك يشتاق إلى وطنه ولكنه لا يستطيع الوصول إليه، وهذا الطائر صديق شوقى لأن الألم يربطهما، وهو دائم الحنين والذكرى لواديه والحزن على فراقه، قلق يتنقل من غصن إلى غصن فى فتور واسترخاء باحثاً عن مواس ولكنه لا يجد،

لأن لأمراض الجسوم أطباء ولكن أسقام الأرواح لا أساة لها ، وشوقي يرمز إلى نفسه بهذا التصوير ، وهذا بدء يلائم الحال النفسية للشاعر المبعد من وطنه ، لأن الحمام من طبعه الحنين إلى وطنه وإلفه ، والشعراء إذا ما سمعوا حنينه هاجت ذكرياتهم فحنوا وأنوا . قال شوقي :

يانائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يداً ... قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا ... أخا الغريب وظلا غير نادينا
كل رمته النوى : ريش الفراق لنا ... سهماً ، وسل عليك البين سكينا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع ... من الجناحين عى لا يلبينا
فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا ... إن المصائب يجمعن المصابينا
لم تأل ماءك تحنانا ولا ظمأ ... ولا ادكاراً ولا شجواً أفانينا
تجر من فنن ساقاً إلى فنن ... وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا
أساة جسمك شتى حين تطلبهم ... فمن لروحك بالنطس المداوينا ؟

ثم يتفق الشاعران فى أن رأى كل منهما برقا يتلألأ حقيقة أو تخيلا ، فاهتاجه إلى مصر ، فالبارودى رأى برقا يلمع فيضيء الجبال والسهول ، فبات لياليه أرقان يرقب النجوم التى أجهدها طول السرى كأنه ملدوغ أو فريسة فى مخالب الأسد ، وصور لألاء النجوم بالياقوت اللامع فى درع . قال :

ومما شجانى بارق طار موهناً ... كما طار منبث الشرار من الزند
يمزق أستار الدجنة ضوؤه ... فينسلها ما بين غور إلى نجد
أرقت له ، والشهب حيرى كليلة ... من السير ، والآفاق حالكة البرد
فبت كأنى بين أنياب حية ... من الرقط ، أو فى برثنى أسد ورد
أقلب طرفى ، والنجوم كأنها ... قتير من الياقوت يلمع فى سرد

ولكن شوقي صور البرق بأن ناره تلمع مقتبسة من النار التى تشتعل فى أضالعه ، وصور المطر الذى يعقب البرق بأنه مستمد من غزير مدامعه ، فهو مؤرق طوال الليالى يراقب النجوم ، ويرعى عهد الحب لمصر ، حتى لقد ذوى ونحل ، فصار كزفرة حيرى فى الليل . وحمل هذا البرق وهذا المطر تحية إلى الوطن ، وصور المطر بأنه يجوب ظلمات البحر يحرسه جبريل من الأذى والعدوان حتى يصل إلى سماء مصر الأبية التى لا تقبل عطاء الغير وإن كان مطراً مباركا ، وحتى رويت بقطراته حدائق الوادى ومروجه وحقوله وريفه الجميل ، وطالبه أن ينزل على خمائل الوادى فى إيقاع رقيق كأنه تغريد وتطريب ، وأن ينزل سلاماً على النبات كما يتساقط الندى على أكمام الزهر ، وأن يواسى منازل الشاعر وأحبابه . قال شوقي :

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا
لما ترقرق فى دمع السماء دماً ... هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد : لم تهتك دياجيه ... على نيام ولم تهتف بسالينا
والنجم لم يرنا إلا على قدم ... قيام ليل الهوى للعهد راعينا
كزفرة فى سماء الليل حائرة ... مما نردد فيه حين يضوينا
بالله إن جبت ظلماء العباب على ... نجائب النور محدواً بجبرينا
ترد عنك يداه كل عادية ... إنساً يعثن فساداً أو شياطينا
حتى حوتك سماء النيل عالية ... على الغيوث وإن كانت ميامينا
وأحرزتك شفوف اللازورد على ... وشى الزبرجد من أفواف وادينا
وحازك الريف أرجاء مؤرجة ... ربت خمائل واهتزت بساتينا
فقف إلى النيل واهتف فى خمائله ... وانزل كما نزل الطل الرياحينا
وآس ما بات يذوى من منازلنا ... بالحادثات ويضوى من مغانينا

ثم يتفقان فى الحنين إلى ملاعب الصبا ومراتع الشباب ، ويصور كل منهما حنينه تصويراً يوائم شاعريته ، فالبارودى يذكر جزيرة الروضة حيث داره ومنبت غرامه ومرتع لذاته وحياته الهانئة ، ويوازن بين حاله البائسة فى حاضره وحاله الناعمة فى ماضيه فتكاد تفارقه روحه ، ويدعو لهذا المنزل بأن ينزل عليه المطر غزيراً كما كان يدعو العرب ، محاكيا لهم فى دعائه ، على أن الروضة التى يحتضنها النيل من جهاتها الأربع فى غنى عن هذا المطر ، ويذكر بعض ما لقى من سعادة فى هذا المنزل والدنيا مواتية والحياة ناعمة ، وحبيبته وافية . قال :

خليلى هذا الشوق لا شك قاتلى ... فميلا إلى (المقياس) إن خفتما فقدى
ففى ذلك الوادى الذى أنبت الهوى ... شفائى من سقمى ، وبرئى من وجدى
ملاعب لهو ، طالما سرت بينها ... على أثر اللذات فى عيشة رغد
إذا ذكرتها النفس سالت من الأسى ... مع الدمع حتى لا تمنه بالرد

إلكيا الهرّاس

للأستاذ برهان الدين محمد الداغستانى

٤٥٠ – ٥٠٤ هـ

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

مناظراته :

كانت مجالس المناظرة تعقد صدر الإسلام وعهد الأئمة المجتهدين للبحث فى العقائد ومسائل علم الكلام أو للمناقشة بين مجتهدين فى مسألة اجتهادية ثم تطورت المناظرات فى القرن الرابع الهجرى وما بعده — بعد أن ترك العلماء الاجتهاد المطلق فى الأحكام الشرعية وألزموا أنفسهم بمذاهب المجتهدين الذين كانوا قبلهم أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأقرانهم — وتغيرت مواضيعها فأصبحت مسائل فقهية خلافية بين الأئمة المجتهدين وكانت أكثر المناظرات تدور عليها بين أتباع المذاهب .

فمع أنه تخرج من علماء الإسلام وفقهائهم فى القرن الرابع وما بعده من لا يقل عمن تقدمهم من المجتهدين علماً بأصول التشريع والاستنباط لكن لم تكن لهم الجرأة الكافية للظهور بمظهر الاستقلال ولم تكن لهم الحرية الواسعة التى تمتع بها أسلافهم فقيدوا أنفسهم بنصوص المتقدمين لا يتعدونها وقصروا همهم على تعليل الأحكام التى وصلتهم من أئمتهم وترجيح بعض الروايات على البعض الآخر واعتنى كل فريق منهم بتأييد مذهب إمامه على مذاهب الآخرين وكثرت المناظرات فى ترجيح مذاهب الأولين بينهم ، وكان أكثر ما تعقد هذه المناظرات المذهبية بين الحنفية والشافعية لأن أغلبها كانت بالعراق وعلماء المذهبين فيها متوافرون والمنافسة بينهم شديدة .

ومن هـذا القبيل ما يرويه ابن خلكان من أنه كان بين إلكيا الهراس والشيخ الإمام أبى طالب الزينبى وقاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى — وهما من أكابر الحنفية يومئذ ببغداد — من المنافسة والتنافر بسبب الخلافات المذهبية وما يرويه السبكى فى الطبقات إذ يقول : وكانت فى إلكيا لطافة عند مناظرته . ربما ناظر بعض علماء العراق فأنشد :

ارفق بعبدك إن فيه يبوسة   جبلية ولك العراق وماؤه

قيل أنشد هذا البيت فى مناظرته مع أبى الوفاء بن عقيل الحنبلى

فتاويه :

قلنا إن العلماء فى القرن الرابع وما بعده لم يجدوا فى أنفسهم الشجاعة الكافية لإعلان استقلالهم عن الأئمة المتقدمين فى الاستدلال من الكتاب والسنة بل قصروا أنفسهم على نصوص أئمتهم،ولكن هذا لم يحل بينهم وبين استنباط العلل للأحكام التى نص عليها المتقدمون فتسنى لهم بذلك قياس ما جدّ بعد ذلك من الأحكام على ما نص عليه من سبقهم وبذلك استطاعوا أن يفتوا فى المسائل التى كانت تعرض لهم فى مختلف الشئون وربما اختلفت أنظارهم فى علة الحكم الواحد فتختلف آراؤهم فى المسائل المستجدة تبعاً لذلك، وكانت مسألة يزيد بن معاوية وقتله الحسين رضى الله عنه مسألة مثارة فى كل مجلس وناد مدة الحكم العباسى فكان لا بد

فيا منزلا رقرقت ماء شبيبتى   بأفنائه بين الأراكة والرند
سرت سحراً فاستقبلتك يد الصبا   بأنفاسها وانثنى فحرك بالحمد
وزر عليك الأفق طوق غمامة   خضيبة كف البرق حانية الرعد

وبشوق يحن إلى مصر ، ويراها صورة من الجنة وإن تهاونت فى تخليصه ، وهو يحبها لأنها مدرج طفولته وملعب صباه ، ومهبط آماله ، ومجال عظمته ، ومولد أبنائه وأحبائه ، ومثوى أجداده وآبائه ، ويدعو بالخير لأيامه الماضية وحياته السعدة المواتية حيث كان هو وأحبابه جمال الحياة، صلتهم حب ووفاء ، وزمانهم حافل بالسعادة والصفاء . قال :

لكن مصر — وإن أغضت على مقة —
عين من الخلد بالكافور تسقينا

على جوانبها رفت تمائمنا   وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا   وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لسعود من أواخرنا   ومغرب لجدود من أوالينا
سقيا لعهد كأكناف الربا رفة   أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا
إذ الزمان بنا غيناء زاهية   ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية ، والعيش ناغية   والسعد حاشية ، والدهر ماشينا

(البقية فى العدد القادم)   أحمد محمد الحوفى

أن يسأل كل عالم عن لعن يزيد وهل هو جائز شرعاً أم لا ، وقد سئل إلكيا نفسه عن لعن يزيد فقال : إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأما قول السلف فى لعنه ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح ، ولمالك قولان تلويح وتصريح ، ولأبى حنيفة قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره فى الخمر معروف ومنه قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم ... وداعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وإن طال المدى يتصرم

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد ... فرب غد يأتى بما ليس يعلم

وأفتى الغزالى وابن الصلاح بخلاف رأى إلكيا لأنه وإن غلب الظن بقرائن الأحوال أن يزيد رضى قتل الحسين أو أمر به فلا يجوز لعنه ويجمل كن فعل كبيرة . وجواب الغزالى بكامله فى الجزء الأول ص ٤٦٦ من وفيات الأعيان وهو فى غاية الإبداع والرصانة .

ويقول الحافظ أبو طاهر السلفى : استفتيت شيخنا إلكيا الهراس ببغداد فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام جرى بينى وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية . وصورة الاستفتاء ما يقول الإمام وفقه الله تعالى فى رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء ، هل تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية ؟ فكتب الشيخ تحت السؤال نعم ، وكيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً .

ونقل النووى عن إلكيا فى موضع واحد من الروضة أوائل كتاب القضاء أن العامى يلزمه أن يقلد مذهباً معيناً ثم نقل عن ابن برهان عكسه ورجحه .

مؤلفاته :

لا يذكر المؤرخون شيئاً عن مؤلفات إلكيا إلا السبكى فقد ذكر أن من مؤلفاته شفاء المسترشدين فى مباحث المجتهدين وقال إنه من أجود كتب الخلافيات ونقد مفردات الإمام أحمد ، وكتاباً فى أصول الفقه لم يذكر اسمه .

وذكر ابن الملقن الأندلسى فى العقد المذهب[1] الرد على الإمام أحمد ومباحث المجتهدين وأحكام القرآن . ولسنا نعلم عن كتب إلكيا أكثر من ذلك ما عدا أحكام القرآن الذى ذكره ابن الملقن فإن منه نسختين فى دار الكتب المصرية نسخة بخط قديم أكثره غير منقوط تحت رقم (١٤٤) تفسير وأخرى منقولة عن النسخة السابقة مكتوبة بخط جميل ثم نسخها يوم السبت ٢٧ جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة تحت رقم (٧١٠) تفسير ، ولكتاب أحكام القرآن هذا أهمية علمية كبرى هى التى حدت بى إلى كتابة هذا الفصل فى التعريف بالكيا الهراس والتنويه بكتابه أحكام القرآن .

* * *

تفسير آيات الأحكام نوع من أنواع التفسير نشأ مع نشوء المذاهب الفقهية فى الإسلام ، لجأ أصحاب المذاهب من الفقهاء إلى هذا النوع من التفسير لتأييد مذاهبهم التى ذهبوا إليها واقتصروا على تفسير الآيات التى تعرض للأحكام الفقهية من قرب أو بعد وفسروها على قواعدهم فى الفهم والاستنباط .

وفى كشف الظنون[2] أن أول من صنف فى هذا النوع من التفسير الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ ثم الشيخ أبو الحسن على بن حجر السعدى المتوفى سنة ٢٤٤ ثم الإمام القاضى أبو اسحق اسماعيل بن اسحق الأزدى البصرى المتوفى سنة ٢٨٣ ثم الشيخ أبو الحسن على بن موسى بن يزداد القمى الحنفى المتوفى سنة ٣٠٥ ثم الشيخ الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ ثم الشيخ أبو محمد القاسم بن اصبغ القرطبى النحوى المتوفى سنة ٣٤٠ ثم الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بالجصاص الرازى الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ ثم الشيخ الإمام أبو الحسن على بن محمد المعروف بالكيا الهراس الشافعى البغدادى المتوفى سنة ٥٠٤ .

* * *

وأهمية كتاب الأحكام لإلكيا تأتى بنوع خاص من ناحية أنه ألفه على طريقة الإمام الشافعى وعلى أصوله فى استنباط أحكام

(١) ورقة (٥٥) مخطوط .
(٢) ١ : ٤٥ طبع بولاق

الفقه من آيات الكتاب العزيز كما يقول فى مقدمته .

ولأنا لا نعلم عن كتاب الأحكام الذى ألفه الشافعى — كما يقول صاحب كشف الظنون — شيئاً ولأنه من ناحية أخرى ليس لدينا إلى اليوم كتاب مطبوع فى تفسير آيات الأحكام على طريقة الشافعى مع كثرة هذا النوع من التفاسير فى المذاهب الأخرى، ولأن إلكيا الهراس كتب كتابه الأحكام بعد الاطلاع على كتب من تقدمه من الحنفية والمالكية فى الأكثر الغالب — نرى أن أحكام القرآن للهراس ذخيرة علمية يجب الانتفاع بها وحبذا لو قام بطبعه ونشره من يهمهم نشر البحث العلمى فى هذا البلد فإنهم يؤدون بعملهم هذا خدمة جليلة للفقه الإسلامى ويحيون أثراً قيما من آثار أسلافنا الأمجاد .

وفاته ورثاؤه :

توفى إلكيا الهراس وقت العصر من يوم الخميس مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة فى بغداد ودفن بباب أبرز فى تربة الشيخ أبى إسحق الشيرازى. وكان مولده — كما تقدم — فى خامس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة فيكون قد عاش ثلاثاً وخمسين سنة وقريباً من شهرين[1] وحضر دفنه الشيخ أبو طالب الزينبى وقاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى — وكانا مقدمى الحنفية فى بغداد وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر مما يكون بين الأقران فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال ابن الدامغانى متمثلا :

وما تغنى النوادب والبواكى ... وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبى متمثلا :

عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

ونقل ابن خلكان عن ابن عساكر فى تاريخه الكبير أن تلميذ إلكيا أبا إسحق إبراهيم بن عثمان الغزى الشاعر المشهور رثاه ارتجالا فقال :

هى الحوادث لا تبقى ولا تذر ... ما للبرية من محتومها وزر
لو كان ينجى علو من بوائقها ... لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر
قل للجبان الذى أمسى على حذر ... من الحمام متى رد الردى الحذر ؟
بكى على شمسه الإسلام إذ أفلت ... بأدمع قل فى تشبيهها المطر
حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما ... والبشر أحسن ما يلقى به البشر
لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمه الجم فى الآفاق منتشر
سقى ثراك عماد الدين كل ضحى ... صوب الغمام ملث الودق منهمر
عند الورى من أسى أبقيته خبر ... فهل أتاك من استيحاشهم خبر
أحيا ابن إدريس درس كنت توردِه ... تحار فى نظمه الأذهان والفكر
من فاز منه بتعليق فقد علقت ... يمينه بشهاب ليس ينكدر
كأنما مشكلات الفقه (يوضحها) ... جباه دهم لها من لفظه غرر
ولو عرفت له مثلا دعوت له ... وقلت دينى إلى شرواه مفتقر

هذا فصل وجيز قصدت به التعريف بإلكيا الهراس والتنويه بأهمية كتابه « أحكام القرآن » إلا أنه ضاق فلم يتسع لتناول أحكام القرآن إلا بقدر يسير . وأرجو أن تتاح لى فرصة التحدث عنه فى فصل آخر خاص به فى القريب العاجل إن شاء الله .

برهان الدين محمد الداغستانى

(1) غير واحد من المؤرخين قال إنه كان ابن أربع وخمسين سنة يوم وفاته وهذا تساهل يكثر مثله فى التراجم .

الأدب في سير أعلامه:

١٣ – تولستوي

« قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه »

للأستاذ محمود الخفيف

في القوقاز

قرأ ليو كثيراً فى القوقاز وهو منذ حداثته لا يسلو الكتب مهما صرفته عنها أهواء شبابه ؛ فاذا عاد إليها أقبل يقرؤها فى جد وعناية قراءة تدبر واستمتاع ، ولم يفته كتاب مما كان يصدر يومذاك فى روسيا أو فى أوروبا ، كذلك لم تفته صحيفة أدبية تعنى بألوان الأدب المعاصر وتهتم بنقده ، وكان فى مقدمة تلك الصحف مجلة « المعاصر » التى نشرت له أول آثاره ...

وكان لترجنيف جانب كبير من اهتمامه ، وكان ترجنيف الذى يكبره، كما أسلفنا بعشرة أعوام قد نشر سنة ١٩٤٧ أول كتاب له وهو « مذكرات رجل صيد » الذى سبق أن أشرنا إليه ، فكان ليو يعيد قراءته بين الحين والحين ؛ ولعل ما استمتع به ترجنيف من ذهاب الصيت بكتابه الأول هذا قد ألقى فى نفس ليو تولستوى أحلام المجد الأدبى وبخاصة بعد أن صادف كتابه « عهد الطفولة » ما أشرنا إليه من نجاح.

وكان لجوجول كذلك منزلة عظيمة فى نفس تولستوى ، فكان يطيل التأمل فى قصة « الأنفس الميتة » وفى قصته الفكهة « فى » ...

ولم ينسه تولستوى عن الأدب الأوروبى فكان يقرأ آثار أعلامه جميعاً ، وكان يتتبع ما ينشر دكنز فى شغف كبير ويقدمه على كل قصصى سواه ؛ وكذلك كان عظيم الاعجاب بالكاتب الانجليزى ستيرن الذى ذكرنا اسمه قبل فيمن ذكرنا ممن قرأ الفتى آثارهم ؛ كان ستيرن من رجال الدين ولد سنة ١٧١٣ وتوفى سنة ١٧٦٨ فهو من أعلام القرن الخامس عشر وقد اشتغل بالأدب ، وامتازت مؤلفاته بروح الفكاهة والعاطفة، وبلغ فى قوة خلق الأشخاص وتصويرهم مالا ينيله إلا الأفذاذ القلائل ، فكان لآثاره ميزة الأصالة والنبوغ ، وقد نشر قبيل وفاته أشهر كتبه وهو « الرحلة العاطفية » ، وقد كان تولستوى شديد التأثر عظيم الانجذاب نحو هذا الكتاب ؛ يضعه فى مستوى آثار روسو من حيث قيمته فى ذاته ومن حيث أثره فى نفسه ...

وكثيراً ما كان الفتى يطيل التأمل فى ساعات فراغه ، أو عقب قراءته كتابا من كتبه ، وكثيراً ما كان يثبت تأملاته فى كراسته فكان لهذه الكراسة بذلك خطرها كمصدر من مصادر تاريخ حياته

وكان أول ما تأمل الفتى فى الدين ولما يمض عليه فى القوقاز غير أيام ، ولم تكن هذه أول مرة يتجه فيها تأمله هذا الاتجاه ، فقد سبقتها مرات ومرات ؛ وقد أشرنا قبل إلى ما ذكره فى مستهل كتابه « اعترافاتى » عن ذلك الصبى الذى تحدث إليه ذات مرة وهو فى نحو العاشرة عن الله ووجوده ، وكيف تلقى ذلك الحديث فى اهتمام وأفضى به إلى اخوته . ومما ذكره كذلك فى مستهل ذلك الكتاب قوله « لقد عمدت ونشئت على العقيدة المسيحية الأورثوذكسية ؛ وقد علمت هذه العقيدة فى طفولتى وطول أيام يفاعتى وشبابى ؛ ولكنى عندما تركت الجامعة وأنا يومئذ فى الثامنة عشرة لم أعد أصدق شيئاً مما علمته.. وقد ذهبت المتقدات الدينية التى علمتها فى صغرى ؛ ونظراً لأنى منذ سن الخامسة عشرة بدأت أقرأ الآثار الفلسفية ، فإن رفضى هذه المتقدات كان أمراً شعوريا فى سن مبكرة جداً ؛ فمنذ سن السادسة عشرة انقطع ذهابى إلى الكنيسة وانقطع صومى ؛ ولم أصدق ما لقنت فى طفولتى ولكنى كنت أصدق شيئاً ما ؛ أما ما هو ذلك الشىء فما كنت أستطيع وقتها أن أقول ، لقد صدقت بالله أو على الأصح إنى لم أنكر الله ، ولكنى لم أستطع أن أقول أى إله هذا ، وكذلك لم أنكر المسيح ولا تعاليمه ، ولكن مم كانت تتألف تلك التعاليم ؛ ذلك أيضاً ما لم أكن أستطيع أن أقوله ...

وإذا رجعت إلى تلك الحقبة من عمرى أرى الآن فى وضوح أن إيمانى ، إيمانى الحقيقى الذى لم يكن لى غيره ، ذلك الذى كان يحفز حياتى بصرف النظر عن غرائزى الحيوانية هو عقيدتى فى بلوغ الكمال النفسى ، ولكن مم يتألف هذا الكمال وما غرضه ؟ ذلك مالم أستطع أن أبينه ، لقد حاولت أن أكمل نفسى عقلياً ، فدرست كل ما استطعت أن أدرس ، كل شىء ألقته الحياة فى طريق ، وحاولت أن أكمل إرادتى فوضعت

قواعد أخذت نفسي بأتباعها ، وكلت نفسي من ناحية البدن فدربت قوتي ونشاطي بكافة أنواع التمرينات ، وعودت نفسي التحمل والصبر بكافة ضروب التقشف ؛ واعتبرت كل أولئك وسائلي نحو الكمال ؛ وكان أول ما اتجهت إليه الكمال الأدبي ثم أعقب ذلك وحل محله الكمال من جميع الوجوه ، أو الرغبة في أن أكون أحسن حالا ، لا في نظري فحسب ولا عند الله وحده ، ولكن في نظر غيري من الناس ... وسرعان ما اتجهت محاولاتي بعد ذلك إلى رغبة أخرى هي أن أكون أقوى من غيري وأبعد منهم صوتاً ، وأعظم خطراً وأكثر ثراء ...

هذا هو مبلغ اهتمام الفتى بالدين وكل ما هو من الدين بسبب منذ حداثته ، أما اهتمامه به في القوقاز فتجد شاهداً عليه فيما أثبته هناك من تأملاته ومنها قوله بعد أن ذكر أنه لم ينل ليلته بسبب صلاته ونسكه لله « إذا أريد بالصلاة أنها استغفار أو شكران فاني إذاً لم أكن أصلي ؛ بل إن رغبة كانت تتملكني نحو شيء طيب سام . أما عن كنه ذلك الشيء فذلك ما لا أستطيع تفسيره ، ولو أنني أشعر شعوراً تاما ماذا يكون ذلك الذي رغبت فيه ؛ إن الذي رغبت فيه هو أن أذوب فأمتزج بذلك الجوهر المحيط بكل شيء وأن أستغفره عن آثامي ... لا ، ليس هذا ما رغبت فيه لأني شعرت إذ منحني هذه اللحظة المباركة أنه بهذا منحني كذلك المغفرة »

والذي يستخلص مما كتبه تولستوي حتى هذه السن أنه لم يفقد الإيمان لحظة بقوة مطلقة في هذا الوجود ، وكان مرد إيمانه إلى عاطفته وإن كان يشعر أنه لا يستطيع أن يصالح عليها عقله ومنطقه ، فلقد كان شديد الشك في صورة العقيدة كما تضعها الكنيسة الأورثوذكسية الروسية ، ولذلك عظم الصراع بين عاطفته وعقله ... وتراه يتساءل ذات مرة في دفتره معتمداً على العقل والقياس قائلا : حتى ولو أن الجسم والروح شيئان ، وأن الجسم يلحقه الفناء ، فماذا في ذلك من البرهان على فناء الروح ؟ لقد رأيت الجسم يموت ، وعلى ذلك أستخلص أن جسمي أنا سوف يموت ، ولكن ليس فيما يريني أن روحي سوف تموت ، وعلى ذلك فبناء على ما يقوم في فكري أقرر أنها خالدة »

وقال عن الصلاة في موضع آخر « هل الصلاة لازمة ؟ وهل هي ذات فائدة ؟ إن التجربة وحدها هي التي ترينا مدى ما يكون في ذلك من اقتناع . إني أصلي هكذا . رب نجني من السوء ومن الغواية أن أفعل السوء ، وهب لي الخير أوهب لي القدرة على أن أعمل صالحا ؛ وسواء أكان خيراً أم كان شراً ما أعمل فان مشيئتك هي النافذة »

وعاد يبحث عن الله في قوله « هل لي أن أنجح نجاحا لا مرية فيه فأكون عن الله فكرة واضحة وضوح فكرتي عن الخير ؟ لقد باتت هذه الرغبة أقوى رغابي !

إن فكرة الإنسان عن الله هي وليدة تفطنه إلى ضعفه هو ... ولم يقنعني بوجوده وبصلتنا به شيء أقوى من هذه الفكرة : ألا وهي أن كل مخلوق قد وهب من المكنة ما يتفق مع ما يرغب فيه من مطالب ، لا شيء أكثر من ذلك ولا شيء أقل ؛ ولأي غرض وهب الإنسان قوة إدراك مثل هذه المسائل وهي العلة الأولى والأبد واللانهاية والقوة المطلقة ؟ إن القدمة فيما أتحدث عنه هي فروض تؤيدها علامات ، وإن الإيمان حسب تقدم المرء يتم صحة هذه الفروض » .

وتشتد حيرته بعد ذلك فيقول : إني عاجز عن أن أثبت لنفسي وجود الله ، أو حتى عن إيجاد قرينة مقنعة به ؛ كما أني لست أرى ثمة ضرورة حتمية لهذا الادراك ، إنه لأيسر وأبسط أن نتخيل الوجود الأبدي للكون بنظامه العجيب الذي لا يمكن تصور مداه ، من أن نتخيل وجود خالق له ... إن تطلع الجسم والروح إلى السعادة هو السبيل الوحيد إلى تفهم أسرار الحياة ، وإذا تصادمت نوازع الجسم ونوازع الروح فيجب أن تهيمن نوازع الروح لأن الروح خالدة كالسعادة التي تنتجها ... وإن تحقيق السعادة هو السبيل لتقدم الروح ورقيها ... إني لست أفهم ضرورة وجود الله ، ولكني أومن به وأصلي له كي يعينني على أن أدركه » .

وستنطوي سنوات كثيرة قبل أن يغير تولستوي ما أثبته في كراسته في نوفمبر سنة ١٨٥٢ وهو قوله « إني أومن بإله واحد لا تدركه الأبصار وأومن بخلود الروح وأومن بالجزاء على أعمالنا ؛ وما يضيرني أني لست أفهم خفايا الثالوث ومولد ابن الله ؟ إني أجل عقيدة آبائي ولست أجحدها » .

ويتأمل الفتى غير الدين في أمر يتصل بالأخلاق فيقول « إن الضمير خير رائد لنا وخير ما نعول عليه من هاد ، ولكن ما هي الشواهد التي بها نميز صوت الضمير من بين الأصوات الكثيرة التي تنبعث في أنفسنا ، على أنه الصوت الوحيد الحق ؟ ذلك لأن

الغرور يتكلم بنفس القوة .. إن الرجل الذى يكون غرضه فى الحياة سعادة نفسه هو رجل سوء ؛ وإن الذى يكون غرضه حسن رأى الناس فيه رجل ضعيف ؛ وذلك الذى يجعل غرضه إسعاد الآخرين رجل خير ؛ ولكن الذى يجعل غرضه وجه الله هو رجل عظيم .. إن الشر فى رأى يتكون من اتباع السوء تجاه الآخرين والخير كامن فى محبة الخير لهم ؛ بهذا يتحدث الضمير أبداً ؛ وإن غرض الحياة لهو الخير وهو عاطفة موروثة فى النفس ، ورأى أن الوسيلة لنعيش عيشة طيبة هى معرفة الخير والشر ... وإنا لن نكون أخياراً إلا عندما توجه جميع قوانا دائماً نحو هذا الغرض»

(يتبع) الخفيف

مهرجان الربيـــــع ...

للأســـتاذ خليل شيبوب

مهرجان الربيع فى الأيام   فرحة الكون تجتلى كل عام
وشباب الدنيا يجدده الدهـ   ـر بفيض من الحياة سجام

ألهمينى عروس شعرى شعوراً   صافى البث صادق الإلهام
أتمل الربيع نوراً به ينفســـ   ـح العمر والزمان أمامى
يا ابنة الفجر أيقظينى فإنى   أذهلتنى طوائف الأحلام
وانظرى فالحياة نظرة حب   وابسمى فالمنى ضياء ابتسام
وأفيضى علىّ وصف محيا   ك أطوّع له عصى الكلام
قد تولى الشباب وا كتهل القلـ   ـب ومالت به عوادى المقام
ودبيى فى وجنتيك وعينيـ   ـك وفى الجيد واللمى والقوام
طاقى الأرض والسماء بنفع   منك يسرى مسارى الأنسام
وابعثى فى الفؤاد ضوء رجاء   منك يحيا به حياة سلام
واستمدى له من الشعر فناً   صادراً عن حقائق الأوهام

عادت الطير من مهاجرها حا   ملة ذكر أفقها المترامى
فروت للرياض عنها حديثاً   لحنته لها بغير نظـــام
وسرت فى النسيم ثرثرة تفـ   ـصح عما به من الإبهام
وجرى الجدول الصغير ضياء   سائلا منه يرتوى كل ظام
وزهت حوله الخمـــائل غناً   فتراها من عنبر لا رغام
ظللتها الأشجار فهى عروش   ظللتها خوافق الأعـــلام
موجتها أشعة الشمس إذ تمـ   ـزج فيها الصفاء بالاضطرام
وتغطى زمرد النبت بالتبـ   ـر وتسرى كالروح فى الأجسام
قد أفاقت هذى الطبيعة تزهى   بقواها من بعد ذاك المنام
وتناجت آفاقها مائجات   بالشذى والنسيم والأنغام
فى الصحارى والروض والبحر والشا   طى وبين الا كام والآجام
تتناغى أصواتها فى خرير   وحفيف ورنة وبغـام
لبست أبهـــج البرود وحطت   عن وجوه الجمال كل لثام
وتحلت بالزهر سيان ما فتـ   ـح منه أو كان فى الأ كمام
باللآلىء والدر شىء نثير   ونظيم ورونق وانسجام
فتراها روانيـاً كعيون   فترت بالدلال والإحتشامَ
وتراها بواسماً كثغور   سحرها مبعث الهوى والهيام
وتراها حيية كخدود   هاج فيها الهوى ندى الضرام
وكأن الرياض منسج ألوا   ن ومسرى شذى ومسق مدام
وتهاويل ساحر عبقرى   وتصاوير ملهم رسـام
كل لون وكل معنى وفن   وجمـال وصـبوة وغرام
فتن تشرح الصدور وتشفى   من جمود القلوب والأفهام
هى فى اليوم باعثات الأمانى   وهى فى الليل ناعشات الظلام
وهى عوذ المغرد المتغنى   ولياذ المرفرف النسام
تلك حور الجنان فى سبحات الـ   ـنور قد أرضعت ندى الغمام
والغصون الولدان طافت من الز.   هر بجام على الطيور فجام
إنما هذه مقدمة الجنـ   ـة فى الأرض فادخلوا بسلام

كيف هذا الورى عن الحق يسهو   وهو لاه عن الهوى متمام
وهو يحيا على خلاف ويبقى   أبداً فى تنازع وخصام
ينقضى الدهر بين حرب وسلم   مثل حرب فى شدة وعرام
طمع جر القوى فظن الـ   ـحق مستمسكا بحد الحسام
وضعيف آبى المهانة يرجو   مثلهم أن يعيش عيش الكرام
عالم تستحل فيـه الخطايا   وتراق الدماء حول الحطام
قلق ساور الحيـاة وحق   ضاع بين السيوف والأقلام
ليتهم فى الربيع يستلهمون الرو   ض حتى يحيوا حياة الوئام
فى نعيم القلوب مؤتلفات   بين رعى الرضى ورعى الذمام
يا ابنة الشعر رفرفى فى مجا   لى النور حيث الصفاء بحر طام
لا يفتنى ربيع حسنك فى قلـــ   ـبى إذا فاتنى ربيع الأنام

خليل شيبوب

الأدب والفن في أسبوع

يوم من أيام العلم :

شهدت جامعة فؤاد الأول فى الأسبوع الماضى يوماً رائعاً من أيام العلم فى تقدير النبوغ وإكباره، ولقد زاد فى روعة هذا اليوم وبهائه أن باركه الفاروق المظيم برعايته السامية وعطفه السابغ، إذ وقف المليك المظيم فى لباسه الجامعى بين أبناء الجامعة، أساتذة وطلاباً، ورجال العلم والأدب: شيوخاً وشباناً، يوزع جوائز فؤاد الأول على الذين استحقوها من العلماء المبرزين، ويسلم الدرجات العلمية للذين نالوها من المتخرجين المتفوقين، وما الجامعة العظيمة إلا غرس فؤاد العظيم ومأثرته على العلم، فلا غرو أن يكون الغرس موضع الرعاية من شبله، وإنما الأبن سر أبيه ...

جوائز فؤاد العلمية :

ولقد افتتح الاحتفال معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا بخطبة ضافية ألقاها بين يدى المليك العظيم نصير العلم والعلماء، واستهلها بقوله: « مولاى. إن لوالدكم الراحل العظيم من الأيادى البيضاء على العلم، ما جعل رجال العلم فى هذا البلد يختار يوم ذكرى وفاته ليكون موسماً للعلم، فاختارت لجنة الجوائز هذا اليوم لتوزيع الجوائز العلمية التى تفضلتم بتخصيصها كل عام للفائزين من كبار العلماء والأدباء، وهى الجوائز التى أطلقتم عليها اسم والدكم العظيم. كما اختارت جامعة فؤاد الأول هذا اليوم أيضاً لتوزيع درجاتها العلمية على النابهين من أبنائها الخريجين ... وسيتشرف بالمثول بين يديك يا مولاى لأخذ الجوائز العلمية ولتسلم الدرجات الجامعية كهول وشباب، أما الشباب: فأولئك هم المتفوقون من الناشئين فى العلم، وأما الكهول فأولئك هم النابغون فيمن نضج من العلماء » ...

العقل المصرى :

قال معالى الوزير: « لقد أثبت علماؤنا اليوم يا مولاى أن العلم ليس وقفاً على الغرب، وأن العقل المصرى إذا أطلق من عقاله وأفسح له المجال، يثب ويرتفع، حتى يصل إلى المستوى الذى وصل إليه علماء الغرب، وهذه حقيقة تدل عليها مؤلفات علمائنا الذين فازوا بجوائز هذا العام، وهى ليست إلا مثلا لمؤلفات كثيرة أخرى، فالعالم المصرى يحق له اليوم أن يطالب بمكانه بين علماء الغرب، وهو فى ذلك لا يستحدث جديداً، بل يواصل تقاليد قد سلفت، يوم كانت مصر هى منار العلم ومنبع المدنية ومقر الحضارة » ...

النهضة العلمية فى مصر :

ثم قال: « والنهضة العلمية فى مصر هى عز الماضى، وأمل المستقبل، بنينا مجدنا بالعلم، وسنعيد بناءه بالعلم، وها نحن نمد النظر إلى آفاق بعيدة، آفاق يشع منها النور قوياً وهاجاً، ونرى النور يقترب منا رويداً رويداً، وكلما اقترب زاد إشعاعا وقوة، فهل يغمر مصر وهى تمشى إلى مستقبلها هذا النور المتألق؟ لقد أخذت غياهب الجهل تنقشع عن سمائنا، يبددها هذا النور الذى يقترب، فليكن سيرنا نحو النور، ولنمش إليه بخطوات ثابتة، فإن هذا النور الذى نراه هو مرآة الماضى، وعنوان الحاضر ورجاء المستقبل » ...

الفائزون بالجوائز :

وتكلم بعد ذلك الأستاذ الكبير معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس لجنة الفحص لجوائز الآداب فأعلن أن اللجنة لم تفرغ من عملها بعد ولهذا قررت إعلان تأجيلها إلى العام القادم، ثم تكلم معالى بهى الدين بركات باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة القانون ثم سعادة الدكتور حسن صادق باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة العلوم ثم قدم معالى وزير المعارف الفائزين بجائزة القانون إلى جلالة الملك وهما الدكتور محمد مصطفى القللى بك عميد كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول والدكتور محمد زهير جرانه المحامى فتسلما البراءة بالجائزة وقدرها ألف جنيه، ثم قدم معالى الوزير الفائزين بجائزة العلوم وهم مصطفى نظيف بك والدكتور محمود الشيشينى الأستاذان بكلية الهندسة والدكتور محمد عبده السعيد الأستاذ بكلية الهندسة وعضو بعثتها إلى انجلترا .

درجات المتفوقين :

وبعد ذلك تفضل جلالتـه بتسليم المتفوقين من الخريجين درجاتهم العلمية ، وقد قدمهم إلى جلالته الدكتور عبد الوهاب عزام بك نيابة عن مدير الجامعة بكلمة جامعة رائعة ختمها بقوله: « إن مصر والأمة العربية جماء تبنى اليوم تاريخا وتنشىء أجيالا وتمد مستقبلا يكافىء مكانتها بين الأمم ومآثرها على الزمان. والله أسأل أن يرعاها ويسدد خطاها وأن يجعل عرشكم الزاهر مناراً لنا فى تاريخ مصر وتاريخ العرب كلهم ، وتاريخ الحضارة الإنسانية» وكان هذا الدعاء الصادق مسك الختام .

البراءة الملكية بالجائزة :

ويهمنا أن نسجل فيما يلى نص البراءة الملكية بالجائزة التى منحت للدكتور مصطفى نظيف بك وهى نموذج للبراءات التى منحت لجميع الفائزين .

وهذا هو النص :

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى صاحب العزة مصطفى نظيف بك الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول .

بناء على ما أقرته اللجنة الدائمة لجوائز فؤاد الأول وفاروق الأول من استحقاقكم جائزة فؤاد الأول للعلوم عن سنة ١٩٤٧ لما امتاز به مؤلفكم « الحسن بن الهيثم — بحوثه وكشوفه البصرية » من دقة البحث .

قد أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم تلك الجائزة وفقكم الله لخدمة العلم والوطن .

تحريراً بقصر القبة الملكى بالقاهرة فى اليوم السابع من شهر جمادى الآخرة لسنة ألف وثلاثمائة وستة وستين من هجرة خليفة المسلمين وفى السنة الحادية عشرة من حكمنا .

صدر بأمر مولاى الملك المعظم
رئيس ديوان جلالة الملك

مولانا أبو الكلام :

اختارت حكومة الهند مولانا أبو الكلام آزاد ليكون سفيراً لها فى مصر ، وهو أول سفير تختاره لتمثيلها فى البلاد العربية ، وثانى سفير يمثلها فى العالم ، إذ اختارت أول سفير لها ليمثلها لدى الولايات المتحدة .

ومولانا أبو الكلام أحد الزعماء المسلمين البارزين فى الهند الذين قضوا حياتهم فى مجاهدة الاستعمار ومقاومة الطغيان والنضال فى سبيل الحرية نضالا أبياً شريفاً لم ينل منه سجن ولا تشريد ، ولم يفل من حدته وعد ولا وعيد ، ونحن إذا تجاوزنا عن الناحية السياسية فى حياة هذا الزعيم العظيم وهى موضع خلاف بينه وبين الزعماء الآخرين فإننا نجده زعيما من زعماء الإصلاح الدينى الذين جاهدوا لنصرة الإسلام وعملوا على تقوية الروابط الإسلامية وانتصروا لها فى صدق وإخلاص وأبدوا فى ميدان الثقافة الإسلامية جهوداً مشكورة كان لها أعمق الأثر عند بنى قومه وأطيب الذكر فى العالم الإسلامى أجمع .

فمنذ عام ١٩١٢ وقف مولانا أبو الكلام وهو لما يزل فى مطلع شبابه ، يهيب بالمسلمين فى الهند أن يتحرروا من ربقة الجمود والتقليد ، وأن يكون طريقهم فى الدين التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات ، وتطهير الأعمال والعقائد من المحدثات ، وبعبسح فيهم تلك الصيحة المأثورة : « إن الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من أمته ، لا ما قاله فلان وفلان وإن القرآن مهيمن على الكتب السماوية والعلوم البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتفرنجين » .

وكان الرجل فى كل ما يكتب ويدعو إليه ينطق بتلك الروح القوية التى غرسها المصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغانى فى النفوس ؛ فهو الذى يقول لأبناء وطنه « إن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت فى سبيل الحق والقرآن ، وإن التوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون إلا لله الواحد القهار ، وأن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر ويتغلغل فى لجج الدواهى لا يقبل السكوت عن الحق ولا يغضى على المكروه » .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى واشتبكت انجلترا فى ميدانها مع تركيا وهى أمة الخلافة يومذاك ، وقف مولانا أبو الكلام يدعو المسلمين فى الهند وفى الأقطار الإسلامية عامة أن يمتنعوا عن معونة انجلترا فى تلك الحرب التى تقوم بها ضد الدولة الإسلامية

الكبرى ، وطاف بالهند يلقى الخطب ويذيع البيانات فى هذا ، فلما أعيت انجلترا الحيل فى جذبه أو ردعه سجنته أربع سنوات ، وبعد عقد الهدنة أطلقت سراحه فخرج يدعو إلى وحدة إسلامية عامة بين المسلمين ، ويهيب بالدول الإسلامية أن تلتف حول دولة الخلافة لتعينها من كبوتها وتساعدها فى محنتها حتى ضجر به الإنجليز فأعادوه مرة ثانية إلى السجن .

فسر الزعيم أبو الكلام قدراً من القرآن الكريم تفسيراً علمياً عصرياً ، وترجم القرآن كله إلى اللغة الانجليزية ، وله مقالات إسلامية وبحوث ثقافية ضافية كان ينشرها فى مجلتى « الهلال » و « البلاغ » اللتين أنشأهما للدعوة إلى التحرر الدينى والتحرر السياسى ثم عطلتهما الحكومة لشدة أسلوبهما ، وعلى الرغم من هذه النبرة الإسلامية الصادقة التى تفيض بها نفس ذلك الزعيم فإنه من أنصار الدعوة إلى توحيد الصفوف وجمع الشمل بين طوائف الهند ، فلا شك أنه سيكون خير سفير للهند فى أقطار العروبة .

وزارة للفكر :

كتب مستر برنارد شو الكاتب الإيرلندى الذائع الصيت إلى جريدة « التيمس » يقترح إنشاء وزارة للفكر فى انجلترا ويقول فى رسالته : « إن التقدم الذى أحرزته آسيا الصحراوية التى تسكنها القبائل حتى توصلت إلى قلب المدنية إنما رجع إلى الاشتراكية الزراعية والصناعية ... وإننا إذا ما وضعنا أسس الاشتراكية فلن يقف شىء فى سبيلنا غير الكسل الفكرى والسياسى ، وخوفنا وكراهيتنا للتفكير . لدينا وزارات لكل شىء ما عدا وزارة للفكر على أنها العامل الوحيد الذى يستطيع مسايرة المدنية الحديثة » .

وإنى لأعجب لذلك الكاتب الكبير أن يقصد إلى حصر التفكير فى حدود الرسميات وأن ينزعه من جو الصراحة والطلاقة حيث يعيش ليجعله فى رعاية الحكومة تصرفه وتمشى به كما تريد ، فإن ذلك فى الواقع قتل للتفكير ، وحجر على العقول الطليقة أن تثمر وتنتج .

وهل يعتقد برنارد شو أنه لو كانت هناك وزارات للتفكير فى العالم من قديم الزمان كان فى الإمكان أن يصل تطور الفكر إلى تلك الحال التى بلغها وكان العالم قد رأى ما نراه اليوم من ألوان الفكر المختلفة فى مناحى الحياة الاجتماعية والعلمية والأدبية والاقتصادية ؟! كلا ! ونحسب أن برنارد شو نفسه يعلم حق العلم أن تاريخ التطور فى التفكير ليس إلا نزعات ووثبات وصفت بالتمرد والتهور وقوبلت فى أول الأمر من الحكومات والوزارات بالمقاومة والصرامة ، وفى هذا السبيل كثيراً ما ذهب أصحاب الأفكار ضحية أفكارهم وتفكيرهم .

وشىء آخر نراه واضحاً ملموساً وهو يدحض ذلك الرأى الذى يراه برنارد شو ، ونعنى به تلك الهيئات الرسمية والمجامع الحكومية التى تتولى الإشراف على أى ناحية من نواحى التفكير ، فإننا نراها جامدة خامدة لا تسير إلا فى بطء ولا تنتج إلا فى ضوء التابعة للتفكير الحر الخارج فى دائرة الرسميات ، ولهذا كثيراً ما كانت تلك الهيئات والمجامع هدفاً لسخرية الساخرين وضحك الضاحكين !

وزارة للتفكير ؟! كلا أيها الكاتب الكبير ، فإن هذا سيكون إيذاناً بوضع نهاية لإيجاد التفكير ...

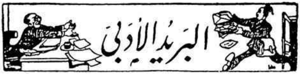
الشمس تغنى :

اكتشفت مصلحة الرادار فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الماضية أن الشمس ترسل فى الفضاء موجات «رادوفونية» كالموجات التى ترسلها محطات الأذاعة اللاسلكية فى أنحاء العالم ...

وقد وقع هذا الاكتشاف مصادفة إذ كان البريطانيون يراقبون اقتراب طائرة مغيرة للعدو على أجهزة الرادار فى نطاق الأربعة أمتار والستة أمتار فأدهشهم أن استمعوا إلى أصوات موسيقية غريبة استمرت فى عزفها يومين ونصف يوم وكانت اتجاهات الرادار تشير طول هذه المدة إلى الشمس ، فلما انتهت الحرب قامت هذه المصلحة بعدة تجارب أثبتت أن الشمس ترسل فى الفضاء موجات « رادوفونية » على أبعاد مختلفة .

وقد أثارت هذه الظواهر اهتمام العلماء والباحثين ، فهم يجرون التجارب لكشف هذه الظاهرة العلمية واستغلالها ويقولون إنه ليس ببعيد أن نسمع صوت المذيع فى يوم من الأيام يقول : هنا راديو الشمس ، تسمعون الآن قطعة موسيقية تعزفها الشمس !

« الجاحظ »



نهضة العراق الأدبية فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة

مما يلفت النظر فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة التى ألفها السيد صالح جبر احتواؤه على (١٤) مادة لتشجيع حركة نشر الفنون والآداب فى العراق . وضعها دولة رئيس الوزراء كما قال لى فى حديثه لما رآه من تأخر العراق عن بعض الدول العربية الشقيقة فى الحركة الأدبية والثقافية فى ميدان النهضة الأدبية فى العصر الحديث فى حين أن له من تاريخه الثقافى وقابليات أبنائه الفكرية وطبيعته الموحية ما يؤهله أن يكون عاملا هاماً فى الحركة الأدبية المعاصرة . وسبب تأخر العراق الأدبى ناشىء من انصراف المسئولين الذين تعاقبوا على الحكم فى العراق إلى حصر جهدهم فى السياسة، فى حين أن العمل الثقافى يجب أن يسبق غيره من الأعمال ويحظى بعناية المسؤولين لكى ينير لهم طريق السياسة ويمهد لهم إنشاء مجتمع صالح سعيد .

لذلك رأى فى منهاجه هذه الناحية الهامة فى بناء العراق الحديث وخصص لها المبالغ اللازمة فى الميزانية لصرفها فى هذه السبيل وتجنيد المخلصين من الأدباء والعلماء والكتاب والمثقفين فى العراق والبلاد العربية للعمل معه فى هذا الميدان ، وللاشراف على وضع دستور أدبى للعراق والعمل على نشر الثقافة العامة فى الجمهور واستغلال القوى الأدبية للترجمة والكتابة والنشر

وسيعنى قبل كل شىء بإنشاء مئات المدارس القروية ورياض الأطفال والابتدائية والثانوية لكى تضم كل راغب فى التعلم من أبناء العراق . كما أنه سيهتم بتوسيع المعاهد العالية ووضعها على أسس علمية رصينة والمباشرة بإنشاء الجامعة العراقية والإكثار من البعثات العلمية ورفع مستواها لتهيىء للبلاد ما تحتاجه من العلماء والأدباء والفنيين وتشجيع التعليم الحرفى والصناعى والزراعى والتجارى والفنون الجميلة وتوجيه معظم خريجى المدارس ولا سيما الابتدائية منها إلى هذا النوع من التعليم .

وسيهتم بتشجيع الثقافة العامة بين مجموع أفراد الشعب عن طريق المدارس المسائية والإذاعة والسينما والمعارض وإنشاء كليات شعبية لرفع المستوى الثقافى والمهنى العام فى البلاد وتوجيه التربية والتعليم فى العراق نحو تنمية المواهب والقابليات لدى أبناء الشعب كافة لما فيه خير البلاد وإعمارها والعناية بالمبادىء السليمة والأخلاق قبل كل شىء . وسيحرص على العناية بثقافة الطلاب بعد تخرجهم من المدارس وذلك بتأسيس نواد ثقافية لغرض الدرس والمطالعة والتفكير .

لقد حدثنى دولة رئيس الوزراء بكل هذا وزاد عليه بأنه سيوعز بالمباشرة حالا بإنشاء مجمع علمى عراقى لتعضيد حركة الترجمة والتأليف والنشر وجعله صلة ثقافية بين العراق والبلاد العربية ، وتسهيل مهمة اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية بما تقترحه من أمور ثقافية تخدم الأغراض الأدبية فى العراق وتساهم فى نشر وإذاعة التفكير العربى .

وطلب منى دولته أن أذيع على صفحات (الرسالة) الغراء بأنه سيوعز بتصوير وجمع وشراء جميع المخطوطات العربية فى المكاتب العامة والخاصة التى لها أهمية تذكر فى أدبنا العربى للاستفادة من بعضها ونشرها ، كما أنه سيستعين بكل أديب وكاتب عربى يخدم هذه الأغراض ويكون ذا فائدة فى نهضة العراق الأدبية والثقافية وذلك باستخدامه بأجور تتناسب ومكانته الأدبية والعلمية ليساهم مع أدباء العراق وعلمائه فى تدعيم حركة نشر الثقافة بين العراقيين .

وسيكون (المجمع العلمى العراقى) على غرار (لجنة التأليف والترجمة والنشر) فى مصر ومن جملة مهامه طبع مؤلفات الأدباء والشعراء والكتاب وإذاعتها ونشرها فى العراق والعالم العربى ليساعد بذلك المؤلفين العراقيين الذين تقف نفقات الطبع والورق حائلا دون نشر أفكارهم وما يضعونه أو يترجمونه من كتب وأقاصيص .

لقد احتوى المنهاج الوزارى العراقى على الخطوط الرئيسية للمعلومات التى شرحها دولة رئيس الوزراء . ولا ريب أن حماسته فى العمل والإنشاء ستعجل بتنفيذ هذا المنهاج الثقافى الضخم الذى تقوم لأول مرة ، وزارة عراقية بنشره وتتعهد بتطبيقه فى العراق .

بغداد — **مهدى القزاز**

إلى الأستاذ الطنطاوي :

أخى الأستاذ على .

ذكرت فى مقالك الممتع الذى تحدثت فيه عن دمشق (العدد ٧١٧ من الرسالة) أن حمام سامى منسوب إلى البطل المشهور أسامة بن منقذ . فاسمح لى أن أبين لك ما يلى :

إن هذا الحمام لا ينسب فى الحقيقة إلى أسامة بن منقذ . بل ينسب إلى أمير آخر اسمه أسامة الجبلى . قال ابن كثير « أسامة الجبلى ... كان أحد أكابر الأمراء . وكان بيده قلعة عجلون وكوكب . . اعتقله العادل بقلعة الكرك سنة تسع وستماية . واستولى على حواصله وأملاكه وأمواله . وكان قيمة ما أخذه منه قريباً من ألف ألف دينار ؛ من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة . وداره هى التى جعلها البادرانى مدرسة للشافعية » اهـ .

أما أسامة بن مرشد ... بن منقذ ، فلم يدرك القرن السابع ، ولا أيام العادل . بل توفى أواخر القرن السادس ، أيام صلاح الدين سنة أربع وثمانين وخمساية ، ولم يذكر أحد أنه بنى بدمشق حماماً .

انظر : تنبيه الطالب للنعيمى (مخطوط) المدرسة البادرائية — مختصر تنبيه الطالب للعلموى . ص ٣٥ (مطبوعات مديرية الآثار العامة) — البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ، ص ٦٣ — النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٧ —

Ecochard et Le Coeur, les Bains de Damas, P, 22—Sauvaget, Un Beain damasquin du XIIIe siecle Paris 1930,

ولأخى الأستاذ ، خالص تحيتى(١) .

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

شباب قلب :

أهدى الأستاذ حبيب الزحلاوى مجموعة قصصه (شباب قلب) إلى الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك ، فكتب إليه الكتاب الآتى :

تحية طيبة وبعد فقد تفضلتم فأهديتم إلى مجموعة قصصكم (شباب قلب) وتوفرت على التمتع بقراءتها ولم أقدم على كتابة هذا الشكر الواجب إلا بعد أن فرغت من قراءتها .

وقد كانت متعة كبرى فى خلال هذا الأسبوع الذى قضيته فى عمل متصل إذ حملتنى صورها إلى آفاق شتى من المعانى تتصل كلها بصميم النفس الإنسانية . وقد راعنى فيها أسلوب رصين متين فيه السلاسة وفيه الجزالة كما راعنى من صوره كثير مما يهز النفس ويدفعها إلى التأمل العميق . ولست أنسى أن أشير بنوع خاص إلى القصة الأولى « غريب » وإلى السادسة « هواجس » فإنها تجمع إلى الأسلوب المتين وضوح الصورة وحبك الحوادث واطراد السياق فى الأسلوب بغير ما يعوق مثول أهم الأشخاص دائماً فى « بؤرة » الاهتمام .

فأهنئك على هذا المجهود الكبير وأرجو لكم دائماً حسن التوفيق ولك شكرى مكرراً وتحياتى خالصة .

محمد فريد أبو حديد

حول (انطلى عليه) :

فى بريد « الرسالة » الأدبى فى العدد (٧١٣) كلمة تحت عنوان « فى اللغة » بإمضاء « فلسطينى » يخطىء فيها استعمال الفعل (انطلى عليه ...) بمعنى جاز عليه ، ويقول وأنها جاءت عن طريق الترجمة ...

وعليه أقول : لو أننا تركنا المعاجم أو التعابير القديمة لوجدنا كلمة (الطلاء) وهو ما يطلى به الشىء أو يدهن ، لتغيير لونه الأصيل الباهت أو تضييع معالمه ، ومن الممكن الجائز اشتقاق الفعل (انطلى عليه الأمر) بمعنى اغتر بطلائه دون أصله ، وظن خيراً ما يكمن تحته الشر كالنار فى الزند ... ومنه يقال (انطلت عليه الحيلة) أى جازت عليه بغير تفطن إلى الأصل الذى غيبه الطلاء

وإذاً ، فالتعبير على هذا الأساس صحيح لا غبار عليه ولا التباس فيه ... والسلام .

(الزيتون) **عدنان**

تصويب :

جاء فى كلمة الأستاذ عبد المتعال الصعيدى المنشورة فى العدد الماضى تحت عنوان (حول أبى هريرة) أن حديث أبى هريرة : دخلت على رقية الخ جاء فى كتاب التاريخ الصغير للبخارى (ص ١٠٠) والصواب (ص ١٠)

(١) ولك يا أخى صلاح شكرى . (على)



يوم ميسلون

« تأليف الأستاذ ساطع الحصري بك »

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوي

الأستاذ ساطع الحصري مؤلف هذا الكتاب، علم من أبرز أعلام الرجال في البلاد العربية، وعالم محقق مدقق، صبور على التتبع، مفطور على التقصي والتحليل، ومرب فاضل له في المعارف رأي صائب سديد، وفي السياسة باع طويل، ودراية واسعة، ولباقة نادرة، ما وكل إليه شأن من شؤون الدولة إلا قام به خير قيام، ولا أسند إليه عمل من الأعمال إلا بلغ به الغاية من التمام

من أحدث مؤلفاته كتاب « يوم ميسلون » وليوم ميسلون شأن أي شأن في تاريخ الأمة العربية، فإن أحداثه الكبرى برغم أنها دكت عرشاً، وأنزلت بالشعب السوري هواناً، وأقامت بدلا من العرش وهو رمز الأمة، طودا للاستعمار البغيض جثم على الصدور، وثلم الكرامة الواعية. فإن تلك الأحداث على عنفها لم تكن عاجزة فقط عن قتل روح الأمة ومحو قوتها المعنوية بل كانت باعثاً من أكبر البواعث على الإستفزاز وعلى النشاط للجهاد ومحو آثار ذلك اليوم المشئوم، ودرء أخطار مثله.

قرأت الكثير مما كتبه الفرنسيون في تبرير يوم ميسلون، وسمعت الكثير من أقوال رجال سورية العاملين، منهم الذين شاركوا في التمهيد ليوم ميسلون، ومنهم من عمل ليتفادى أو يستبدل أحداث ذلك اليوم المشئوم، فلم أقع على ما يروي غلة متعطش إلى معرفة الحقيقة، ولكن هذا الكتاب، لا ينير فقط طريق المؤرخ، بل يعطيه الوثائق والأسانيد الصحيحة ويطلعه على حقائق كان بعضها خافياً على الكثيرين من رجال الحكم، وبعضها الآخر كان يعمل على اخفائه رجال الحكم أنفسهم، أو تجار الوطنية من عباد الوظائف الكبرى، وعلى طمس معالمه حتى لا تثلم زعامتهم، ولا يفتضح أمرهم عند سواد الشعب، الذي كان حتى الأمس القريب، يؤخذ بالتقاليد العتيقة البالية فيحترم فلانا الحاكم أو الزعيم لا لصفات تؤهله للزعامة أو الحكم، بل لأنه من آل فلان الحاكمين أو الأثرياء. ويمجد علانا الموظف لأنه يشغل مقعد الوظيفة

يقول المؤلف الفاضل « ان حوادث يوم ميسلون لم تكن بنت ساعتها، بل كانت صفحة من صفحات القضية السورية، والقضية السورية نفسها لم تكن قضية قائمة بذاتها، بل كانت جزءاً من القضية العربية، كما أن القضية العربية كانت وثيقة الارتباط بالمسألة الشرقية » ولكي يقيم المؤلف الدليل على هذه الارتباطات المتسلسلة أنشأ فصلا كان بمثابة تمهيد يبرز أطماع فرنسا في سورية جمل مردها إلى الحروب الصليبية، كما كان بمثابة توضيح لسياستها الاستعمارية التي سلكتها في الربع الأول من القرن الثامن عشر، وقد أخذت منذ ذلك الحين تبسط نفوذها على بلاد إسلامية واسعة الأرجاء، وتعلن أنها صاحبة امبراطورية إســـلامية وإرث عظيم يؤول إليها من تركة الدولة العثمانية، ويستعرض المؤلف الفاضل ببراعة وإيجاز فصــول اصطدام فرنسا الاستعمارية بالعقبات الدولية وتناحرها مع الإنجليز أصحاب الامبراطورية التي لا تغرب الشمس عنها لامتدادها في أصقاع الأرض، لينتهي إلى الاتفاق الذي تم بين الدولتين الحليفتين، فرنسا وانجلترا على تنفيذ معاهدة سايكس - بيكو بنصوصها وحذافيرها، وكان ذلك الاتفاق بمثابة مقدمة لحلول القضاء المشئوم يوم ميسلون.

فصول الكتاب متعددة متنوعة بارعة، ولعل ابرعها الفصل الذي تم فيه اختيار أعضاء مجلس المديرين زميلهم السيد ساطع الحصري وقد حبذ الملك رأيهم للسفر إلى مقر قيادة الفرنسيين في لبنان قبيل زحف الجيش الفرنسي على سورية للتفاهم مع الجنرال غورو المندوب السامي، خصوصاً وقد قبل وزير الخارجية السورية كافة المطالب الفرنسية: ففي هذا الفصل يصف المؤلف البارع الموقف أبلغ وصف، ويكشف القناع الشفاف عن مطامع الفرنسيين المستعمرين، وكيفية توسلهم بكل وسيلة تحقق أمانيهم وتدرجهم في الطلب حتى يستوفوا أغراضهم تامة كاملة. ثم يفضح أذناب المستعمرين من أبناء سورية بسرد نتف من أعمالهم ولمحات من تصرفاتهم وسكوته المهذب عن ذكر

أسمائهم ، فتنطق الأعمال بلسان أوضح من تبيان الأسماء ، فلا يتمالك القارئ من استنزال لعنة يصبها على ذلك الزعيم الخسيس أو ذاك المتكالب على الوزارة أو الطامع في وظيفة ، أو هذا المائع المتفلسف يلبس لكل حالة لبوسها

في الكتاب فصول عدة لا محيد لكاتب تاريخ سورية من اقتباس بعضها بالنص ، والاستئناس والاسترشاد ببعضها الآخر لأنها بمثابة متون تحتاج إلى شرح وتفصيل

يرى المؤلف الفاضل أن واقعة ميسلون — وإن كانت بمثابة الفصل الأخير من رواية « المنافسة الدولية » التي حامت حول سوريه — فانها كانت في الوقت نفسه بمثابة الفصل الأول من منقبة « المنافسة الوطنية القومية » التي قامت في سورية ضد القوى الفرنسوية . فهذا القول صحيح لا غبار عليه ، وإننا نتمنى مخلصين أن تكون أعمال المتنافسين قد انتهت لتتجه الاتجاه الخاص في بناء الملك على أوطد دعائم العدل والامن والقوة بشرط أن لا تأخذها نشوة الانتصار بإجلاء الفرنسويين وتنام عن تقلبات السياسة والاعيب عباد كراسي الحكم

يطول بي المقام لو وقفت حيال كل موضوع من مواضيع هذا السفر القيم ، ولكني أدعو قراء العربية إلى اقتنائه ، ومن ثم أقف لأعترف بفضل مؤلفه الرجل الكريم الذي دون أحداث أمة ناهضة وعلم ناشئتها وما برح يعلمها كيف تزجر زعماؤها وكيف تهدي حكامها سبيل الحرية والاستقلال

حبيب الزحلاوي

الشريد

(تأليف علي بك حلمي)

للأستاذ محمد خليفه التونسي

بين يدي بهذا العنوان مسرحية ذات ثلاثة فصول كتبها علي بك حلمي مدير جرجا .

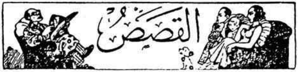
١ — فالمؤلف — مع أنه من رجال الإدارة والشرطة — يمتاز باطلاع واسع عميق ، وهو — إلى ذلك — أديب يكتب المقالات ويدبج المسرحيات ، وأقرب الأمثلة إلينا بحثه الممتع « محمد والأمن العام » الذي نشرته الرسالة في عدديها (٧١٠ ، ٧١١) وهذه المسرحية .

٢ — والمشكلة الكبرى التي تدور حولها هذه المسرحية هي مشكلة الطفولة المحرومة من عطف الآباء والأمهات وحمايتهم ، والطابع المصري يبدو واضحاً راسخاً على كل ما في المسرحية سواء في ذلك موضوعها الأكبر ، والحوادث التي تظهر دقائقه ، والشخوص التي تظهر فيه ، وهذا امتياز كبير قل أن يتوفر اليوم في إنتاجنا القصصي عامة والمسرحي خاصة ، فهو قصص عاطل من السمات والملامح المحلية حتى إن الناقد يبحث فيما يقرأ عن المؤلف والبيئة التي نشأ فيها قصصه والشخوص الفردة التي يعبر عن حياتها فلا يكاد يفوز — مهما جد — بطائل ، فمن الممكن أن يقع بعد ألف عام أو قبل ألف ، هنا أو في أي مكان من الأرض أو غيرها حيث يمكن أن يكون بشراً ، فإذا ظفر الناقد بعد الكد بشيء من هذه السمات والملامح لم يجدها إلا حائلة حائرة مائعة، مع أن الخصائص أول شرط من شروط الإنتاج الأدبي عامة والقصصي خاصة، والخصائص في مسرحية الشريد بارزة لا في مشكلتها الكبرى وحوادثها وشخوصها الأساسية فحسب، بل في المشكلات الثانوية المنتثرة فيها دون قصد خاص إليها .

٣ — وقد جاءت هذه المسرحية في إبانها ، فمشكلة الطفولة المشردة من مشكلاتنا القائمة بيننا الآن بكل متاعبها ، وأعباؤها لا تزال تثقل كواهل كثير من أولي الأمر فينا في عدة وزارات ، كما تشغل عقول كثير غيرهم من محبي الإصلاح ودعاته .

وعلى الرغم مما قرأته من بحوث متعددة لكثير ممن كتبوا في هذه المشكلة حكوميين وغير حكوميين — لم أستطع أن ألم بخفاياها وصعوباتها وطرق علاجها كما ألممت بها من هذه المسرحية فهي تصور أوضح تصوير حياة الأطفال المشردين بكل ما تزخر به من منغصات وأوجاع ، وما يتعرضون له من استغلال الزعار والشطار لهم ليعيثوا فساداً في الأرض ، والتخفي وراء براءتهم والشفقة عليهم للعبث بقوانين المجتمع ونظمه وحماته توقياً من العواقب الوخيمة ، فهم يسخرونهم في السطو والاختلاس والتجارة المنكرة بالأعراض والسلع المحرمة ؛ كي يضللوا حماة الأمن الذين لا يجدون في هؤلاء الأبالسة الصغار غير أطفال ملائكة أطهار جنى عليهم آباؤهم وحرمهم المجتمع عنايته دون ذنب ، فهم لا يستحقون منهم إلا العطف والعون ، مما يتيح لفساد محركيهم في الخفاء أن يستشري ويتسع دون أن يفطن إليه الموكلون بدرئه .

ولا شك أن صلة المؤلف بهذه المشكلة أهم عوامل نجاحه في تعرف حدودها وخفاياها وأساليب علاجها الميسورة .



الجاسوسة العاشقة

عن الإنجليزية

للأديب شفيق اسعد فريد

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

دخلت فانيا شرفة الفندق فانحنى لها الخادم باحترام بينما وقف اليوت لاستقبالها ... وقبل الشاب أناملها فى رفق ... وحين جلسا بادرها قائلا :

— اصغى إلى يا فانيا ... يجب أن أرحل هذه الليلة ... إننى متأسف كثيراً لذلك ، بيد أن الأمر جد هام أعنى أن لدى أعمالا تستلزم رحيلى إلى الغرب ... فقد وصلنى اليوم خطابك ...

فقاطعته قائلة : — أعمال ... لم أكن أدرى أنك قدمت إلى موسكو لأجل العمل . ولكن خبرنى ، ألا ترجع ثانية لموسكو ... ؟ وهل أنت ذاهب بعيداً ... ؟

فأجاب : — إننى ذاهب إلى باطوم ... ولكننى سأعود ثانية فإن الأوامر التى عندى تقضى على بالبقاء فى باطوم لمدة أسبوع ... سوف أشعر بكثير من الوحشة لفراقك يا فانيا ...

وشعرت الفتاة بشىء من الإضطراب إذ لم يبلغ سمعها أى نبأ عن وصول مثل هذا الخطاب ... وخطر لها أن تتحرى الحقيقة من أعوانها ... فاستأذنت الشاب لبضع دقائق .

ودخلت فانيا الغرفة السرية التى يحتلها مندوب قلم المخابرات السرية فى الفندق ... ونظرت إلى الرجل الذى كان يجلس إلى المكتب وقد ارتدى معطفاً غليظاً ... ثم قالت : —

— يقول الشاب إنه ذاهب إلى باطوم الليلة وذلك بناء على التعليمات التى أرسلت إليه فى خطاب وصله اليوم ... وسيعود إلى موسكو ثانية بعد أسبوع ...

فهتف الرجل قائلا : ليس هناك خطاب أيتها المواطنة ... إننا ندرى كل شىء عن المحادثة التليفونية ... على كل حال ستذهبين إلى باطوم الليلة ... وسأنظر فى أمر جواز سفرك ... على أنى أعتقد أنه لمصلحة المهمة التى تقومين بها ينبغى أن تسافرى بالدرجة الثالثة ...

***

كان قطار الغرب مزدحما ازدحاماً شديداً فى تلك الليلة ... ولقد استطاعت فانيا أن تجد مقعداً خاليا بصعوبة شديدة ... وبعد أن وضعت السلة التى كانت تحملها فوق المقعد غادرت العربة ... ووقفت فوق الرصيف ترقب وصول اليوت ... ولم يمض أكثر من بضع دقائق حتى رأته يشق لنفسه طريقاً وسط الزحام الشديد ...

ووصل القطار أخيراً إلى باطوم بعد رحلة شاقة ... فغادرت فانيا العربة وراحت تراقب اليوت عن بعد ... واستمرت فى رقابتها حتى انصرف من المحطة واستقل سيارة ثم انطلق إلى فندق باطوم ...

وفى المساء تسلل شبح إلى ممر فندق باطوم ولم يلبث هذا الشبح أن دخل إحدى الغرف فى هدوء ... وتلفتت فانيا حولها فوجدت أن رجال قلم المخابرات قد زودوها بكل ما يلزمها فى عملها ... ولم تمض لحظة حتى طرق رئيس قلم المخابرات السرية فى باطوم الباب ... وحين دخل بادر الفتاة قائلا : —

— لقد كانت حيلة مرض الأخ الأصغر حيلة تدل على الذكاء النادر ، على أننى واثق أن بين اليوت ومحادثه طريقة سرية للكلام ، وفى اعتقادى أن كلمة بورد وتمنى باطوم وأن سان سباستيان مثلا يقصد بها سبستابول ... ياله من أمر مضحك ...

فقالت فانيا : ماذا تعتقد أنه سيحدث ... ؟

فقال الرئيس : أعتقد ... إننى متأكد مما سيحدث لأن من واجبنا معرفة الحقائق ... يوجد شخص معين فى باطوم يعرف الكثير من المعلومات الهامة عن أحد المشروعات الهندسية الكبيرة التى ستنفذها الحكومة على نهر فولجا ... إن هذا الرجل روسى لسوء الحظ ... ولما كانت معلومات هذا الرجل تهم الكثيرين من المهندسين الأجانب وبخاصة الانجليز منهم فقد جاء أليوت لمقابلة هذا الرجل للحصول منه على ما عنده من المعلومات .

ومع ذلك فإن الرجل لن يستطيع أن يبوح بهذه المعلومات إلا مرة واحدة ... وسوف نمكنك من سماع ما سيدور بين الرجلين من حديث بوساطة تليفون سرى أعد لك فى الغرفة رقم ١١٤ ... والآن أريد أن أوجه انتباهك إلى أننا نريد الرجلين معاً ... سوف نكون فى حاجة إلى شهادتك فيما بعد ...

***

تلفتت فانيا حولها فى اشمئزاز، فقد شعرت للمرة الأولى بالكراهية للعمل الآلى الذى تقوم به ... والواقع أنها كانت تحس اضطراباً داخلياً لم تستطع مقاومته ... كانت تريد أن تطلق الجاسوسية ومؤامراتها وإيقاع الأبرياء فى حبائلها لتسوقهم إلى الهلاك ... أجل لقد شعرت بأنها امرأة شريرة ...

واستولى الإعياء عليها، وشعرت برعب عظيم يتسرب إلى قلبها ولكنها استطاعت أن تقاوم هذا الذعر وبدأت تفكر فى هدوء!

ودق جرس التليفون فجأة فأفاقت من تأملاتها ... وسمعت صوت عامل التليفون يعلن أن رجلا اسمه المستر راكوف قد اتصل بالمستر أليوت وطلب إليه أن يحدد له موعداً للمقابلة كى يطلعه على النماذج اللازمة ... ولقد حدد المستر أليوت الساعة السادسة للمقابلة فى الغرفة رقم ١١٠ ...

وبدا للفتاة أن وقت العمل قد حان، فقد استقر رأيها على أمر معين وصممت على تنفيذه مهما كانت العقبات التى تعترض سبيل هذا التنفيذ ...

وتسللت فانيا من غرفتها إلى الشرفة فى هدوء ... وتقدمت إلى الغرفة رقم ٠٠ وطرقت النافذة فى رفق، وحين فتح اليوت النافذة وضعت فى يده مذكرة صغيرة كانت قد أعدتها فى غرفتها ثم قفلت راجعة دون أن تلوى على شيء ...

كان قلبها يدق فى عنف ووحشية ... وشعرت بنوع من الحمى يدب فى جسدها، ولكنها — مع ذلك — شعرت بشيء من الطمأنينة إذ حذرت الشاب فى الوقت الملائم

وفى الساعة الثالثة سمعت فانيا وقع أقدام الشاب فى الدهليز وصوت أقدامه وهو ينزل الدرج ... وراحت تتساءل: ترى هل سيعمل بنصيحتها ..؟ وهل ستنقذه هذه النصيحة من مصيره المحتوم؟!

لم تكن ترتاب فى أنه إنما قدم إلى الروسيا ليبتاع معلومات لو أنها أذيعت لسببت متاعب جمة لحكومة السوفييت ... إنه أحد أعداء بلادها ويجب القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة ... ولكن ... يا لله ... لقد أقدمت على خيانة وطنها خيانة عظمى دون أن تدرى لذلك سبباً ...

ودقت الساعة فى بهو الفندق معلنة الرابعة والنصف ومع ذلك لم يعد أليوت ...

وحين دقت الساعة الخامسة بدأت تتساءل: ترى هل هرب؟

ونظرت الفتاة إلى ساعتها فإذا بها السادسة إلا ربعاً ...

وما هى إلا لحظات حتى سمعت وقع أقدام فى الدهليز أعقبها طرق على بابها ...

ودخل الخادم لينبئها أن شخصاً جاء لمقابلة المستر اليوت فى غرفته وأن هذا الرجل موجود فعلا فى غرفة الانتظار فى تلك اللحظة ...

كان هذا الإعلان نذيراً ببدء العمل ... فالتقطت فانيا سماعة التليفون ووضعتها فوق أذنها وراحت تصغى ...

كان الصوت واضحاً حتى لقد استطاعت فانيا أن تسمع صوت محرك اليوت فى الغرفة .. وخطر لها أن تصيح لتحذره ولكن أنى لها ذلك ..

وسمعت الفتاة وقع أقدام فى الدهليز فعرفت أن المستر راكوف فى طريقه إلى مقابلة أليوت فى الغرفة رقم ١١٠ .

واستولى عليها الاضطراب حتى لقد سقطت منها حقيبتها اليدوية ... وفجأة سمعت الحديث الذى دار بين الرجلين ...

كان الصوت واضحاً عالياً ...

وراحت تصغى وقد أدركت أنها لن تستطيع الفرار من مواجهة الأزمة ...

كان اليوت يتكلم بصوت عال بكلام لا معنى له دون أن يجعل لرفيقه فرصة الكلام .

إذن فقد أدرك الشاب أن هناك من يسترق السمع ...

وأسرعت الفتاة فوضعت السماعة مكانها وهرعت نحو الباب وأشارت إلى الخادم إشارة فهم المقصود منها ...

وفجأة امتلأ الدهليز برجال قلم المخابرات السرية ... وحين

واجهها رئيسهم باسماً قال :

— هل سمعت ما فيه الكفاية أيتها المواطنة ؟

وصاح أحد الرجال فى تلك اللحظة :

— افتحوا الباب وإلا حطمناه ...

وفتح الباب فجأة بينما اندفع الرجال داخل الغرفة .

كان اليوت باسماً على حين كان را كوف أبيض الوجه يرتجف من الخوف ...

وفتش الجند الرجلين بسرعة وفى خشونة وعنف ... بينما وقفت فانيا على مبعدة وقد أطرقت برأسها إلى الأرض .

وقال رئيس الجند : تعاليا معى لتوضحا مسلككما الحالى ... لقد استطاعت هذه المواطنة أن تسمع الحديث الخطير الذى دار بينكما منذ لحظة .

ولاح لفانيا أنها تشاهد إحدى الهازل ... ولم يبق لديها شك فى أنهما وقعا فى الفخ ...

وأخيراً قالت فى صوت مبحوح : لقد سمعتهما يتحادثان أيها الرئيس، ولقد استنتجت من حديثهما أنهما يتكلمان طبقاً لطريقة خاصة ! . . لقد ذكرا أنهما يتوقعان محادثة تليفونية من بوردو بخصوص حالة أخى المستر اليوت الصحية ...

ودق جرس التليفون فى تلك اللحظة فانصرفت أنظار الجميع إلى الآلة الصغيرة الموضوعة على منضدة بجوار السرير ... وكاد أليوت يتناول السماعة حين منعه رئيس الجند من ذلك وتناول هو السماعة ثم قال رداً على المتكلم :

— ماذا تقول . . ؟ مكالمة خارجية . . ! مستعجلة . ! تقول إنها للمستر بارنجتون ... حسن ... ماذا ؟ من بوردو ...!

والتفت رئيس الجند حوله فى غضب ... وأخيراً قال لفانيا : هل تتكلمين الفرنسية . . ؟ حسن ! يمكنك أن تصغى للمتكلم ... أخبريه أن المستر فارنجدون مريض أو بالخارج أو ما شابه ذلك .

ووضعت فانيا السماعة على أذنها وبدأت تصغى ...

وقالت رداً على المتكلم :

— أجل ... سوف أخبر المسيو اليوت ... تقول إنه أحسن حالا ... هذا بديع ... لقد كان المسيو اليوت قلقاً على أخيه ...

— حسن ! سأخبره بذلك يا سيدى ... الوداع ...

والتفتت إلى رئيس الجند وهى تقول :

— إن المكالمة من بوردو كما ذكرت وهى مكالمة خاصة للمستر اليوت ... إنها تقرر عن صحة أخيه ... يلوح أننا أخطأنا يا سيدى ... وربما أخطأت فى إدراك مغزى حديثهما ...

وبدا الغضب واضحاً على رئيس شعبة قلم المخابرات السرية فى باطوم وعض على شفتيه قهراً ثم ألقى نظرة غاضبة على اليوت والتفت إلى فانيا قائلا :

— حقاً ... ربما اخطأت أيتها المواطنة ... إن الإنسان معرض للخطأ ... وعلى ذلك فهأنذا أتقدم للمستر فارنجدون باعتذارى وأنا جد واثق أنه يقدر المتاعب والأخطاء التى تعترض سبيل عملنا الدقيق ... إننى أعتذر إليك للمرة الثانية يامستر اليوت

والتفت إلى را كوف قائلا : أما أنت فاتبعنى .

وحين غادر الجميع الغرفة التفت اليوت إلى فانيا وقال فى صوت رقيق : خبرينى لماذا أقدمت على هذه المخاطرة من أجلى ؟

فقالت : الواقع أننى لا أدرى يا اليوت ... لقد شعرت بالملل فضحك ...

وفجأة ضمها إلى صدره فى حنان ثم قال : والآن سوف نذهب معاً إلى بوردو ...

شفيق أسعد فريد

مطبعة الرسالة